وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

العنوان:

المعتزلة في العصر الأموي
من خلال كتاب الملل والنحل للشهرستاني

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: دراسات في التاريخ و الحضارة في العصر الوسيط

إعداد الطالب :
- محفوظ بلحنيش

إشراف الدكتور:
- نور الدين موهوبي

السنة الجامعية 1437/1436هـ - 2016/2015م

شكر وتقدير

بعد حمد الله وشكره على منه وكرمه علي بإتمام هذا العمل...
أتقدم بجزيل الشكر والتقدير...
إلى الأستاذ الدكتور نور الدين موهوبي الذي تكرم بالإشراف
علي ومنحني من وقته وبذل جهده في توجيهي ونصحي في
مراحل إعداد هذا البحث...
كما أشكر إدارة الكلية التي يسرت لنا وسائل الدراسة وحرصت على تنظيمها وسيرها...
كما لا أنسى شكر كل من أعانني على كتابة هذا البحث من أصدقائي...

الإهداء

إلى والدي الكريمين...

اللذين ر بياني صغيرًا وحرصا على تعليمي ونفعي...

إلى إخوتي الأعزاء...

إلى طلبة العلم في كل مكان...

إلى أساتذتي الكرام ومشايخي الأفاضل...

إلى كل من يعمل لنصرة هذا الدين...

أهدي هذا الجهد المتواضع...

محفوظ

المقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فلقد عرفت الأمة الاسلامية عبر تاريخها الطويل أحداثًا ومتغيرات كثيرة ومتعددة في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها، ممَّا أثَّر على الواقع الحضاري العام للمسلمين سلبًا وإيجابًا.

ولعلَّ أهمَّ تلك المتغيرات والمستجدات التي حدثت في الامة في زمن مبكر هو وقوع الاختلاف السياسي حول مسألة الحكم والإمامة زمن الصحابة –في القرن الأوَّل–الذي تطور فيما بعد إلى خلاف مذهبي له أسسه العقدية؛ حيث ظهر الخوارج والشيعة المتنازعون في قضايا الامامة والحكم والايمان ...إضافةً إلى ظهور الجهمية الذين خاضوا في مسائل الصفات والايمان والقدر– الجبر.

وفي خضمّ ذلك التنازع والجدل الدائر بين تلك الفرق فيما بينها من جهة، وبينها وبين علماء السلف من جهة أخرى؛ ظهر إلى الوجود فكر جديد مع مطلع القرن الهجري الثاني، أي في عهد الدولة الاموية، عُرِف أصحابه **بالمعتزلة** الذين استقوا مذهبهم من جملة الأفكار الفلسفية الرائجة آنذاك وممَّا أحدثته عقولهم، كما بينه كثيرٌ من العلماء الذين أرَّخُوا للفرق والمذاهب، كما هو صنيع الإمام الشهرستاني في كتابه الشهير: **الملل والنحل**.

وبعد نظرٍ وتفكيرٍ قرَّرتُ أن يكون فكر المعتزلة في تلك الحقبة هو موضوع بحثي في هذه المذكرة بعنوان:

"المعتزلة في عهد الدولة الأموية من خلال كتاب الملل والنحل للإمام الشهرستاني".

أوَّلاً: أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدة أسباب دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، منها:

– عدم إفراد موضوع المذهب الاعتزالي ببحث مستقل، يتناول فترة نشوئه في عهد الدولة الاموية – حسب علمي– كما لم أطلع على من درس مذهب المعتزلة من خلال كتاب الشهرستاني في ذلك العهد.

- المشاركة ببعض الجهد في دراسة آراء المعتزلة – الأوائل- كما عرضها الشهرستاني، وبيان منهجه في العرض والنقد.

- ميلي إلى الدراسات المذهبية عمومًا والفلسفية الكلامية والعقائدية خصوصًا، سيما من زاوية تاريخية لمعرفة النشأة والتّطوُّر.

ثانيًا: إشكالية البحث:

يحاول هذا البحث معالجة الاشكالية التي تتمحور في السؤال التالي:

كيف كان فكر المعتزلة في العهد الأموي من حيث الآراء والمعتقدات حسبما صوَّره الإمام الشهرستاني في كتابه الملل والنحل؟

كما سأحاول الإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية:

ماهي جذور الفكر الاعتزالي التي يرجع إليها؟ ماهي أصول المعتزلة التي نسبها إليهم الشهرستاني وقالوا بها في فترة الحكم الأموي؟ وما هو موقف الخلفاء الأمويين من فكر المعتزلة؟

ثالثًا: أهمّيَّة البحث:

يبدو لي أن هذ الموضوع له أهمية كبيرة ممَّا يجعله يستحق البحث والدراسة، وذلك لما يلي:

- أهمية البحث في مجال الفرق والمذاهب العقائدية، إذ الجانب المذهبي هو الاساس الذي تنبني عليه بقية الجوانب الاخرى، وبفهمه يسهل فهم الاتجاهات والمواقف الاخرى- سياسياً، فقهيًّا...الخ.

- موضوع البحث يتعلَّق بفترة نشوء وظهور مذهب المعتزلة، ومعلوم أن فترة النشوء هي أهمُّ الفترات التاريخية لأيِّ مذهب أو دولة أو طائفة، لأنَّ دراسة القضية بمعرفة أصول نشأتها يساعد على فهمها جيِّداً.

- يعتبر المعتزلة من أشهر وأهمِّ الطوائف الإسلاميَّة، والتي كان لها شأن وتأثير في تاريخ المسلمين؛ فكريًّا وكلاميًّا وعلميًّا وحتَّى سياسيًّا، لذلك ينبغي إفراد هذا المذهب بالدراسة والبحث.

- القيمة العلمية الكبيرة لكتاب الملل والنحل، وكذا المكانة التي يحظى بها مؤلِّفُه الشهرستاني.

رابعًا: أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق بعض الأهداف، منها:

- معرفة طبيعة المذهب الاعتزالي وخصائص هذا الفكر في فترة نشوئه.

- كشف عوامل وأسباب ظهور الاعتزال.

- تحديد الفرق بين هذا الفكر وغيره من المذاهب، ومعرفة العلاقة بينه وبينها.

- بيان الموقف الرَّسمي للدولة الأموية من المعتزلة.

- معرفة مدى موضوعيَّة الشَّهرستاني وإنصافه في عرض مقالات القوم.

خامسًا: الدراسات السابقة:

لقد كتبت الكثير من الأبحاث والدراسات عن المعتزلة، ولكن حسب اطلاعي لا يوجد من خصَّص بحثًا لموضوع المعتزلة في فترة نشأتها - عهد الدولة الأموية -، فضلاً عن وجود من تناول ذلك من خلال كتاب الشهرستاني.

وكلُّ الدراسات التي وقفت عليها إمَّا أنها تناولت تاريخ المعتزلة بوصف عام، وإمّا أنَّها تناولته في فترات لاحقة خاصَّة بالعهد العبَّاسي- فترة الازدهار-، وإمَّا أنها اقتصرت على دراسة بعض خصائص هذا المذهب وجوانبه، كدراسة أصوله الخمسة، أو آرائه الأصوليَّة، ومن تلك الدراسات:

1 - آراء المعتزلة الأصوليَّة دراسة وتقويمًا للدكتور علي بن سعد الضويحي، والكتاب في أصله رسالة دكتوراه، خصَّصها الباحث لمناقشة آراء المعتزلة الأصوليَّة، وقد جعل باباً تمهيدياً للتعريف بالمعتزلة، حيث تكلَّم عن نشأتهم وسبب التسمية، كما تحدث باقتضاب عن علاقة بعض خلفاء بني أمية بالمعتزلة.

2- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، لعواد بن عبد الله المعتق، تناول فيه التعريف بالمعتزلة ونشأتهم، وناقش أصولهم الخمسة، لكنه لم يربط ذلك بكتاب معيَّن، ولا بفترة محدَّدة.

3- تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، رسالة ماجستير للباحث عبد اللطيف الحفظي، تكلَّم فيها عن كل من العتزلة والخوارج والشيعة، من حيث التعريف والنشأة والمبادئ، ومدى تأثير المعتزلة على الخوارج والشيعة، لكنه لم يحدد ذلك بفترة الأمويين أو فترة غيرهم.

4- المعتزلة بين القديم والحديث، للباحثين محمد العبده وطارق عبد الحليم، تناولا فيه الكلام عن المعتزلة وفكرهم قديمًا وحديثًا، أمَّا قديمًا ففي عهد النشأة والقرون الأولى، حيث بيَّنا التعريف والمبادئ التي قام عليها عليها الاعتزال وتطور هذا الفكر، وأمّا حديثًا فتطرَّقا إلى بقايا فكر المعتزلة ومن يحمل بعضه في قالب تحرري عقليٍّ جديد.

5- ثورة العقل مدرسة بغداد الاعتزالية للدكتور عبد الستار الراوي، هذا البحث وإن كان مُخصَّصًا لدراسة فكر معتزلة بغداد فلسفيًّا، إلاَّ أنَّ الباحث تكلّم عن مدرسة البصرة الاعتزاليَّة التي هي أصل منشأ الاعتزال، حيث ذكر ألقاب المعتزلة، وعرَّف الاعتزال، وتحدَّث عن نشأته وأصول المعتزلة، من غير أن يبين العلاقة بينهم وبيَّن الأمويين.

6- منهج الشهرستاني في كتابه الملل النحل عرض وتقويم لمؤلفه محمد بن ناصر السحيباني، تناول فيه التعريف بالمؤلف وكتابه، وركز على بيان منهج الشهرستاني تقريره لمذاهب الناس في العقائد والأديان، كما سلط الضوء على تحديد منهجه في عرض الفرق الإسلامية ومقالاتها ونشأتها، وقد أفادني كثيراً في معرفة منهج الشهرستاني في عرضه لطائفة المعتزلة، وكيفية اختياره لأدلتهم وما يتميزون به.

سادسًا: المنهج المتبع:

طبيعة هذا البحث تقتضي الاعتماد على المنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج النقدي.

أمَّا المنهج التّاريخي ففي عرض بعض المشكلات ذات الأصول التاريخية بهدف معرفة أسبابها، وتحديد تأثيراتها، واستقصاء منشأ الاعتزال وأصله، وانبثاق مدرسته البصرية بفرقتيها الأوليين: الواصلية والعمروية.

وأمّا المنهج المقارن ففي عرض آراء المعتزلة الأوائل من خلال كتاب الشهرستاني الملل والنحل، مع مقارنة ذلك ومقابلته ببعض المصادر الأخرى التي أرّخت للفرق والطوائف.

وأمّا المنهج النقدي ففي تقييم الفكر المعتزلي ومعرفة نجاحه وانتشاره، ومناقشة آراء المعتزلة التي ظهرت في العهد الأموي، وكذا تحليل منهج الشهرستاني وتقييمه في عرضه لمادته التاريخية عن المعتزلة في تلك الفترة.

أمّا منهجية عرض المادة العلمية للبحث فقد اتبعت الخطوات التالية:

- التقديم لمحتوى كل مبحث بتمهيد قصير تيسيراً لاستيعابه.

- ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في ثنايا البحث باستثناء الصحابة المشهورين والخلفاء الراشدين، فلا يحتاجون إلى تعريف وترجمة.

- في التهميش أذكر صاحب الكتاب باسمه الكامل ثم عنوان الكتاب مع باقي المعلومات.

- عرض أقوال المؤلف الشهرستاني و بعض المؤرخين و العلماء، مع عزو المنقولات إلى أصحابها من كتب الفرق و المذاهب وكتب التاريخ العامة،مع تقديم مصادر الفرق على غيرها إذا اجتمعت معها في الهامش نظراً لطبيعة البحث المذهبية.

- تخريج بعض الأحاديث المذكورة من مصادرها الحديثية.

- أما الفهارس فقد اكتفيت بذكر فهرس لقائمة المصادر والمراجع مرتبة ترتيباً ألفبائياً، وفهرس للموضوعات.

سابعاً : تحليل مصادر البحث:

فإن المصدر الأساسي للبحث هو كتاب الملل والنحل للشهرستاني باعتباره موضوع البحث والدراسة، إضافة إلى اعتمادي على مصادر أخرى مختلفة كالقواميس في جانب التعاريف اللغوية، وبعض كتب الفرق والمقالات، وكذا كتب التاريخ الإسلامي العام مع اعتماد بعض المراجع المعاصرة التي تناولت بحث موضوع المعتزلة.

وهذا بيان مجمل لأهم المصادر المعتمدة:

1- الملل والنحل: للإمام الشهرستاني، وهذا قد تكلّمت عنه و عن منهجه في المبحث الثاني من هذا البحث بما يغني عن إعادته هنا.

2- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: للإمام أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة 332هـ، تناول فيه الكلام عن أقوال وآراء الفرق الإسلامية المختلفة مع مناقشته لحجج وأدلة كل واحدة منها ، وركز في رده على فرق المعتزلة أشهر الفرق الكلامية، و قد الأشعري الحديث في كتابه هذا على الفرق الإسلامية، بخلاف كتاب الملل و النحل الذي جمع بين الفرق الإسلامية، وملل ومذاهب أخرى، وقد سلك الأشعري في عرض الآراء المنهج المسمى " المنهج الموضوعي أو التقريري "، وهو عرض آراء ومقالات أصحاب الفرق دون أن يكون له أي توجيه في ذلك العرض، فلا تعقيب ولا رد ولا نقد، وقد التزم الأشعري بهذا المنهج في سائر كتابه، ولذا عد مصدراً موثوقاً به في نقل آراء الفرق الأخرى، خاصة المعتزلة رغم أنه من خصومهم، ومما يزيد قيمته العلمية تقدمه التاريخي على غيره من كتب المقالات والفرق والمذاهب، كما تميز منهج الأشعري في طائفة المعتزلة عن سائر منهجه في سائر الطوائف من حيث عدم تقسيم المعتزلة إلى فرق، والتوسع في عرض آرائها توسعاً ملحوظاً، استغرق حديثه عنهم ما يقارب ثلثي الكتاب، ويعتبر الأشعري أعلم بالمقالات، وأدق في نقل الأقوال وعزوها إلى قائليها وأكثر تحرياً في ذلك من الشهرستاني.

2- الفرق بين الفرق: للإمام عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة 429هـ، تناول فيه بيان أهم الفروق والخلافات بين الفرق و المذاهب، كما يظهر من عنوانه، وهو يتفق مع كتاب الشهرستاني في معظم وجوه المقارنة، مما يعني عدم وجود فوارق واختلافات في منهجهما، ويختلف البغدادي عن الشهرستاني في بعض الأمور منها:

- أن البغدادي اقتصر في عرضه على الفرق الإسلامية أما الشهرستاني فأضاف إليها ملاً ومذاهب أخرى.

- اختلافهما في المنهج الذي سار عليه كلٌ منهما، فالبغدادي سلك منهج التقرير والنقد والمناقشة والتعقيب أحياناً بطريقةٍ فيها شيء من الشدة و القسوة، فضلاً عن ذكر الإلزامات على الرأي،

ومقارنة بعض آراء الفرقة بالمذاهب والأديان الأخرى، بل يبلغ نقده لبعضهم حد التكفير، خاصةً في حديثه عن المعتزلة.

3- الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم الأندلسي، هو كتاب مقارنة بين الملل والنحل المختلفة، ركز كثيراً على الكلام عن أهل الكتاب، بينما حديثه عن الفرق الإسلامية كان مختصراً ويسيراً خلافاً للشهرستاني، ويرى ابن حزم أن أصول الفرق خمس هي: المعتزلة، والمرجئة، والشيعة، والخوارج ، وأهل السنة، فبدأ بالمعتزلة.

وابن حزم سلك في عرضه للفرق طريقة جعل المسائل أصولاً لأنها أوضح وأبين من طريقة الانطلاق من الأشخاص وسرد أقوالهم.

وقد سلك في كتابه من حيث عرض الآراء منهج التقرير والنقد، كما هو شان البغدادي، خلافاً للشهرستاني والاشعري، فهو لا يدخر جهداً في إبطال ونقد كل مذهب يخالف ما يعتقده، وهو يرد بشدة وقوة على الخالفين في العقائد والديانات، خاصة في رده على أهل الكتاب.

ثامناً: صعوبات البحث:

لقد واجهتني بعض الصعوبات وأنا في ثنايا إعداد هذا البحث، من تلك الصعوبات:

- كون بحث موضوع المعتزلة في العصر الأموي غير مدروس من قبل الباحثين، وكل الباحثين في موضوع المعتزلة لا يتحدثون عن هذه الفترة إلا في أثناء الكلام عن نشأة المعتزلة وبشكل عرضي مقتضب، فضلاً عن وجود من خصص دراسة الموضوع من خلال كتاب الشهرستاني، وبالتالي لم أجد من أستأنس به من الباحثين لتيسير الوصول إلى المقصود.

- عدم تصريح كتب الفرق والمقالات والتي منها كتاب الشهرستاني وكذا كتب التاريخ العامة بدقة بأن المعتزلة عاصروا الدولة الاموية، وإنما يكتفون من ذلك بإشارات فقط، مما يجعل الباحث يجمع بين تلك الاشارات للوصول إلى الفكرة المتكاملة، فمثلاً عليه أن يعرف الفترة التي عاش فيها الشخص المعتزلي بمعرفة تاريخ وفاته، ثم ينظر تاريخ امتداد الدولة الأموية، ليعرف هل عاصرها أم لا؟

- يعتبر العصر الاموي فترة النشأة لكثير من الفرق والمذاهب، فكانت أفكارها وآراؤها غير مكتملة

ولا ناضجة، ومن ثم يكتنفها شيء من الغموض، وينتج عن ذلك قلة من يكتب عنها آنذاك، وبالتالي يجد الباحث نفسه أمام قلة المراجع.

– قلة المادة العلمية لدى الشهرستاني عن المعتزلة في فترة النشأة، إذ تكلم عنهم بإيجاز، ثم سرعان ما انتقل إلى الفترة العباسية التي ازدهر فيها المعتزلة، وكتبت عنها كتابات كثيرة.

تاسعاً: خطة البحث:

لتحقيق الغرض العلمي لهذا البحث ارتأيت أن أجعله في مقدمة، ومبحث تمهيدي، ومبحثين رئيسين، وخاتمة.

أمَّا المقدمة ففيها التعريف بالموضوع، وذكر أهميته وأسباب اختياره وأهدافه المرجوة، والمنهج المتبع فيه.

وأمَّا المبحث التمهيدي فقد ضمنته لمحات عن الدولة الأموية، وينتظم في مطلبين:

المطلب الأول: الدولة الأموية سياسياً.

المطلب الثاني: الدولة الأموية فكرياً.

وأمَّا المبحثان الرئيسان فبيانهما كالتالي:

المبحث الأول: مفاهيم عن المعتزلة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالمعتزلة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: عوامل ظهور المعتزلة.

المطلب الثالث: أسس مذهب المعتزلة.

المبحث الثاني: مذهب المعتزلة في العصر الأموي كما يصوره الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالإمام الشهرستاني.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الملل والنحل للشهرستاني.

المطلب الثالث: عرض الشهرستاني لآراء المعتزلة في العصر الأموي.

المطلب الرابع: العلاقة بين المعتزلة بالأمويين.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

المبحث التمهيدي: لمحات عن الدولة الأموية

وفيه مطلبان

المطلب الأوّل: الدَّولة الأموية سياسيًّا

المطلب الثاني: الدولة الأموية فكريًّا

المبحث التمهيدي: لمحات عن الدولة الأموية

قبل الشروع في التعريف بالمعتزلة وذكر مبادئهم التي يقوم عليها مذهبهم، وقبل التطرُّق إلى ما قرّره الإمام الشهرستاني ونسبه إلى المعتزلة من أفكارٍ- في كتابه الملل والنّحل- أودُّ التقديم بين يدي ذلك بتعريف موجز بالدولة الأموية، إذ هي الإطار الزّماني لموضوع البحث، وهي تمثّل الأرضية التي نشأ فيها الاعتزال، وقد ارتأيت أن أتناول هذا التعريف في جانبين:

- الجانب السياسي الذي هو أساس الدول، وهو المؤثر في بقية الجوانب الأخرى.

- الجانب الفكري لما له من صلة وثيقة بموضوع البحث، ومن خلاله نعرف الجوّ الفكري العام السائد آنذاك، والعقائد الرائجة آنذاك وعوامل قيام المذاهب، وعليه سيكون هذا المبحث في مطلبين: الأوّل: الدولة الأموية سياسيًّا، والثاني: الدولة الأموية فكريًّا.

المطلب الأوّل: الدَّولة الأموية سياسيًّا

الفرع الأول: قيام الدولة الأموية:

الدولة الأموية هي الدولة التي أقامها الصحابي معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - سنة (41هـ/660م) ودامت إلى سنة (132هـ/ 750م)[1].

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط3، 1427هـ - 2006م، ج2، ص618-619، ج3، ص3- 5، 212، محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت- لبنان، ط7، 1431هـ - 2010م، ص15، 182.

وكان لمقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان – رضي الله عنه– سنة 35هـ/655م، علاقته بقيام الدولة الأموية[2]، وذلك أن معاوية – الذي كان واليًا على الشام – امتنع ومن معه عن مبايعة أمير المؤمنين عليّ – رضي الله عنه– بالخلافة حتى يقتص لدم عثمان من قتلته ثم يبايع، أمَّا علي بن أبي طالب فكان يرى وجوب البيعة أوَّلاً ثم بعد ذلك يُنظر في شأن قتلة عثمان[3]، واستمرَّ الخلاف بين الرجلين حتى قُتل عليٌّ عام 41هـ/661 م[4]، فبايع أهل الكوفة[5] الحسن بن علي– رضي الله عنهما– بالخلافة، في حين بايع أهل الشَّام معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما–[6].

سار معاوية بعد ذلك باتجاه العراق للسيطرة عليه، فبلغ ذلك الحسن وهو بالكوفة، فخرج بجيشه فالتقى بمعاوية، وجرت بينهما مراسلات ومفاوضات انتهت بعقد الصلح بين الطرفين، تنازل الحسن بموجبه عن الخلافة لمعاوية مُراعياً في ذلك مصلحة وحدة الأمة وحقن دماء المسلمين، فتحقَّق فيه قول رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم–: "إن ابني هذا سيد ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[7]، وعلى إثر هذا الصُّلح بايع الناس معاوية، وأصبح أميراً للمؤمنين، وسُمِّي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع الأمة فيه على إمام واحد[8].

---

[2]– أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1969م، ج4، ص415-417.

[3]– عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تح: أبو صهيب محمد بن سامح، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1431هـ – 2010م، ج7، ص3- 54، يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، ط2، 1406هـ-1985م، ص101، 81-107.

[4]– المصدر السابق، ص88-90.

[5] الكُوفة بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسمّيها قوم خدّ العذراء، قال أبو بكر محمد ابن القاسم: سميت الكوفة لاستدارتها أخذا من قول العرب: رأيت كوفانا وكوفانا، بضم الكاف وفتحها، للرميلة المستديرة، ..وطول الكوفة تسع وستون درجة ونصف، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثان، وهي في الإقليم الثالث..وأما تمصيرها وأوّليته فكانت في أيام عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في السنة التي مصرّت فيها البصرة وهي سنة 17، وقال قوم: إنما مصّرت بعد البصرة بعامين في سنة 19، وقيل سنة 18. (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م، ج4، ص491).

[6]– ابن كثير، المصدر السابق، ص136 ،142، طقوش، المرجع السابق، ص14-15.

[7]– محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ ،ج3، حديث رقم: 2704، ص 186.

[8]– ابن كثير، المصدر السابق، ص138-139، عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ مابين وفاة النبي(صلى الله عليه وسلم) إلى مقتل الحسين سنة 61هـ، دار عباد الرحمن، القاهرة، ط1، 1432هـ- 2011م، ص128.

وبذلك قامت دولة الخلافة الأموية التي دام حكمها إلى سنة (132هـ/750م)، تولّى الحكم خلال تلك الفترة أربعة عشر خليفة[9]، سيأتي ذكرهم في الفرع الموالي إن شاء الله.

الفرع الثاني: خلفاء بني أمية:

لقد تعاقب على حكم الدولة الأموية أربعة عشر خليفة منذ نشأة الدولة حتى سقوطها وهم:

1- معاوية بن أبي سفيان: هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، أبو عبد الرحمن خال المؤمنين وكاتب الوحي، ولد قبل البعثة بخمسة أعوام، وأسلم يوم فتح مكة[10]، وهو مؤسّس الدولة الأموية، وقد حكم خليفةً من سنة (41هـ/661م) إلى وفاته سنة (60هـ/680م)، مدة تسع عشرة سنة وثمانية أشهر[11]، وكان قبيل وفاته قد عهد بالخلافة من بعده لابنه يزيد[12].

2- يزيد بن معاوية: هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أبو خالد الأموي، ولد عام ستة وعشرين للهجرة أثناء ولاية والده على بلاد الشام في خلافة عثمان[13]، حكم ما بين سنتي (60هـ/680م) و(64هـ/684م)[14].

شهد عهده بعض الأحداث الدامية كمقتل الحسين بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنهما- سنة 61هـ/681م[15].

---

[9]- طقوش، المرجع السابق، ص15.

[10]- انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج8، ص231.

[11]- انظر: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، مكتبة الاسكندرية ، مصر، (د ط)، (د ت)، ص226-227، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مطبع بريل، مدينة ليدن، (د ط)، 1883م، ج2، ص284.

[12]- أبو بكر بن محمد بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تح: مصطفى أبو المعاطي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1429هـ - 2008م، ص222 وما بعدها، طقوش، المرجع السابق، ص22 وما بعدها.

[13]- انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج8، ص226.

[14]- انظر: طقوش، المرجع السابق، ص42.

[15]- المصدر السابق، ص267 وما بعدها.

3- معاوية بن يزيد: أو معاوية الثاني، أبو عبد الرحمن القرشي الأموي، بويع له بعد موت أبيه، وكان ولي عهده من بعده سنة 64هـ/684م، وكان رجلاً صالحاً، لكن بويع وهو مريض، توفي بعد ثلاثة أشهر فقط من بيعته سنة 64هـ/684م[16].

4- مروان بن الحكم: هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو عبد الملك القرشي الأموي، ولد في حياة النبي- صلى الله عليه وسلم-، وكان ابن ثماني سنوات حين توفي الرسول، يعد صحابيًّا عند طائفة كثيرة، هو جد خلفاء بني أمية الذين جاءوا بعده[17]، ويعد رجلاً عدلاً عند فقهاء المسلمين مقبول الرواية[18]، كان ذا شهامة ومروءة ودهاء، تولّى الخلافة بين عامي (64هـ/684م) و(65 هـ/685م)[19].

5- عبد الملك بن مروان: هو عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد أمير المؤمنين، ولد في المدينة عام 26هـ، في خلافة عثمان بن عفان، والد الخلفاء الأمويين، نشأ نشأة علمية، وكان يكثر من مجالسة العلماء[20].

يعتبر المؤسّس الثاني للدولة الأموية؛ لأنه هو الذي وطّد أركانها وأعاد إليها وحدتها، وانتشلها من الفوضى، حكم من سنة (65 هـ/685 م) إلى سنة (86 هـ/705 م)[21].

6- الوليد بن عبد الملك: هو الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس الأموي، ولد عام 50هـ/670م، وهو أكبر أولاد عبد الملك، شب على الصلاح والتقوى والإكثار من تلاوة القرآن[22].

---

[16]- انظر: ابن كثير، المصدر الساق، ج9، ص22.

[17]- نظر: المصدر نفسه، ص38.

[18]- انظر: ابن العربي، المصدر السابق، ص89-90.

[19]- انظر: طقوش، المرجع السابق، ص61.

[20]- انظر: ابن كثير، المصدر السابق،ج9، ص169.

[21]- انظر: المرجع السابق، ص66.

[22]-انظر: المصدر السابق، ص249- 250.

حكم مدة عشر سنوات (86- 96 هـ/705- 715م)[23]، وقد كثرت الفتوحات في عهده واتسعت رقعة الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً.

7- سليمان بن عبد الملك: هو سليمان بن عبد الملك بن مروان القرشي الأموي أبو أيوب، أخو الوليد بن عبد الملك، ولد عام 54هـ/674م في المدينة ونشأ في الشام، وهو أفضل أولاد عبد الملك، كان ديناً عادلاً محباً للغزو[24]، وقد حكم من سنة (96هـ/ 715م) إلى سنة (99هـ/717م)، وهو الذي عهد بالخلافة من بعده لعمر بن عبد العزيز[25].

8- عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717- 720 م): هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أبو حفص القرشي الأموي، أمير المؤمنين، ولد عام 62هـ/682م، بويع بالخلافة بعد ابن عمه سليمان عن عهد منه له بذلك، عُرف بالعلم والفقه والأدب والصلاح والتقوى والعدل[26]، وسار في الرعية سيرة حسنة كسيرة الخلفاء الراشدين[27].

9- يزيد بن عبد الملك: هو يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد القرشي الأموي، أمير المؤمنين، ولد عام 72هـ/ 691م، وكان قبل استخلافه يكثر من مجالسة العلماء.

بويع له بالخلافة عام 101هـ/720م بعهد من أخيه سليمان على أن يكون الخليفةَ بعد عمر، حاول أن يسير على نهج عمر بن عبد العزيز لكن لم تتوفر له بطانة صالحة، فانحرف حتى إنه اعتبر الشخصية الأولى في

---

[23]- انظر: ابن كثير: المصدر السابق، ج9، ص251.
[24]- انظر: المصدر نفسه، ص261- 266.
[25]- الطبري، المصدر السابق، ج6، ص531- 532.
[26]- انظر: طقوش، المرجع السابق، ص133-134.
[27]- ابن كثير، المصدر السابق، ج9، ص288.

الخلفاء الضعفاء[28]، ومال إلى الغناء والعبث وانشغل بذلك عن قضايا الناس ومشاكل الدولة فاضطربت الأمور[29]، وفي عهده ظهرت الدعوة العباسية[30]، حكم من سنة (101هـ/ 720 م) إلى سنة (105هـ/724م)[31].

10- هشام بن عبد الملك: هو هشام بن عبد الملك بن مروان، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي أمير المؤمنين، ولد عام 72هـ/692م، ولي الخلافة بعد وفاة أخيه يزيد وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، يعتبر من أخيار خُلفاء بني أمية[32]، حكم لمدة عشرين عاماً، ابتداءً من سنة (105هـ/724م) إلى غاية (125هـ/743م)[33]، شهد عهده حروباً للدولة داخلياً ضد الخارجين عليها[34]، وخارجياً على عدة جبهات في الشرق والغرب[35].

11 - الوليد بن يزيد (الوليد الثاني): هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس الأموي الدمشقي، بويع له بالخلافة بعد وفاة عمه هشام بعشرة أيام[36]، نشأ نشأة عابثة [37] لا تليق بمن سيتبوأ منصب الخلافة.

مدة حكمه كانت من سنة (125هـ/ 743م) إلى سنة (126هـ / 744م)[38]، في عهده بدأ الضعف يدبُّ في جسد الدولة، وظهر النزاع داخل البيت الأموي، فمات هذا الخليفة مقتولاً[39].

---

[28]- انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج9، ص290-291.

[29]- انظر: المصدر نفسه، ج7، ص22-23.

[30]- أبو الحسين علي بن أبي الكرم محمد بن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط3، 1400هـ- 1980م، ج4، 159.

[31]- انظر: طقوش، المرجع السابق، ص145.

[32]- انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص52-54.

[33]- انظر: المرجع السابق، ص151.

[34]- انظر: الطبري، المصدر السابق، ج6، ص181-189.

[35]- انظر: المصدر نفسه، ص96-104، ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1400هـ - 1980م، ج2، ص26-27.

[36]- انظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص6.

[37]- انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ص269.

[38]- انظر: طقوش، المرجع السابق، ص165.

[39]- الطبري، المصدر السابق، ج6، ص237-239، 244.

12- يزيد بن الوليد الأول(يزيد الثالث): هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد، أمير المؤمنين، بويع له بالخلافة في بادئ الأمر، واصطدم بابن عمّه الوليد الثاني وقتله، واستحوذ على الخلافة عام (126هـ/ 744م)، أظهر التقوى خلال حكمه، وتشبَّه بعمر بن عبد العزيز، لُقب بالنَّاقص، لأنه أنقص أعطيات الجند والناس عمَّا زاده الوليد الثاني، وردَّها إلى ما كانت عليه في عهد هشام[40]، وبسبب قتله للوليد الثاني حدثت في عصره فتن واضطرابات وعصيان وخروج عن حكمه من قبل بعض الولاة، توفي فجأة في ذي الحجة عام 126هـ/ 744م عندما أوشك على الاتفاق مع مروان بن محمد وإنهاء المفاوضات معه للتفاهم على الخلافة وولاية العهد[41].

13- إبراهيم بن الوليد: قام بأمر الخلافة بعد وفاة أخيه يزيد في ذي الحجة سنة (126هـ/ 744م)، لكن الأمر لم يستقم له، فكان تارة يسلم عليه بالخلافة وتارة بالإمارة، وتارة لا يسلم عليه بواحد منها[42]، ونازعه في الحكم مروان بن محمد، الذي تغلَّب عليه وأخذ منه الخلافة بعد أن دخل دمشق ظافراً عام (127هـ/745م) وبايعه الناس بالخلافة[43].

14- مروان بن محمد الجعدي (مروان الثاني): هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم القرشي الأموي أبو عبد الملك أمير المؤمنين، هو آخر خلفاء بني أمية، بويع له بالخلافة بعد وفاة يزيد الثالث، ثم قدم دمشق وخلع إبراهيم بن الوليد، واستقر له الأمر في صفر عام 127هـ/745م، عُرف بمروان الجعدي، نسبةً إلى مؤدِّبه الجعد بن درهم[44]، كان صبوراً في محاربة الخارجين عليه[45]، لكن الدولة الأموية في عهده مرت بظروف عصيبة، أدت في

---

[40]- انظر: الطبري، المصدر السابق، ج6، ص261-262.

[41]- انظر: المصدر نفسه، ص272-278، 299.

[42]- المصدر نفسه، ص299.

[43]- طقوش، المرجع السابق، ص171.

[44]- ستأتي ترجمته في المطلب الثاني إن شاء الله، ص25.

[45]- انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص95.

النهاية إلى سقوطها على يد العباسيين الذين قتلوا مروان في مصر بعد أن فرَّ إليها عام 132هـ/750م، حيث حكم من سنة (127هـ/745م) إلى سنة (132هـ/ 750م)[46]، وقد دام حكم الدولة الأموية اثنين وتسعين (92) عاماً، بدأت بتولي معاوية الخلافة وانتهت بمقتل مروان.

المطلب الثاني: الدولة الأموية فكريًّا

مادام موضوع البحث ذا طابع فكري عقدي (مذهب المعتزلة)؛ فمن المناسب التطرق إلى الواقع الفكري العقائدي السائد إبان العهد الأموي، خاصة في الفترة التي نشأ فيها الاعتزال، ممَّا قد يساعدنا على معرفة ظروف وعوامل النشأة.

لقد وجد الانقسام العقدي والاختلاف الفكري في الأمة الإسلامية في زمن مبكر، يعود إلى أواخر عصر الصحابة، ويوافق ذلك فترة الخلافة الأموية، وازداد الاختلاف مع نهاية القرن الهجري الأول، أي: عند ظهور المعتزلة، وكان لهذا التنوع الفكري والتضارب المذهبي أثره في تبلور الفكر الاعتزالي، وعلى العموم كان هناك اتجاهان أساسيان متقابلان:

– **اتجاه أهل السنة والجماعة:** ويمثله علماء السلف آنذاك، وهم المتمسكون بما وجدوه قائما ومستقراً من عقائد وأحكام شرعية ورثوها عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين وكبار الصحابة، ولم يكلفوا أنفسهم عناء الجدال العقلي والبحث الفلسفي، وسار على هذا النهج الصافي علماء الصحابة كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهما -رضي الله عنهم-، وأئمة التابعين كالحسن البصري -رحمه الله-، وتابعيهم كالأئمة الأربعة، فهؤلاء كلهم أثر عنهم التمسك بالسنة النبوية في الاعتقاد والسلوك والعمل، وأنكروا ما أحدثه بعض

[46]- انظر: الطبري، المصدر السابق، ج6، ص437-441، اليعقوبي، المصدر السابق، ص277، طقوش، المرجع السابق، ص 173، 182.

الناس من مقالات، كما فعل عبد الله بن عمر لما تبرأ من القدرية؛ فعن يحي بن يعمر[47]، قال: " كان أوَّل من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري[48] حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فسألناه عمَّا يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما- داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي.....فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويقفرون العلم وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن **لا قدر** وأن الأمر أنف، قال إذا لقيت أولئك، فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن **بالقدر**..."[49].

وتبرُّؤ عبد الله بن عمر من هؤلاء يعني أنه كفَّرهم وأخرجهم عن الملة، لأنه لا يتبرأ من المسلمين، وهذا واضح؛ لأن الذين تبرأ منهم ابن عمر هم القدرية الأوائل وهم نفاة العلم، أي أنهم ينفون سبق علم الله بالأشياء حتى تقع.

وهكذا كان الأئمة المتقدمون ينكرون على من يخالف الاعتقاد الصحيح، فأنكروا مقالات الشيعة والخوارج والقدرية وردُّوا شبههم.

---

[47]- يَحْيَى بْن يَعْمُرَ البَصْرِيّ، أَبُو سُلَيْمان، ويُقال: أَبُو سَعِيد، ويُقال: أَبُو عدي، قاضي مرو أيام قتيبة بْن مسلم، وهو من بني عوف بْن بكر بْن يشكر بْن عدوان، وهُوَ الْحَارِث بْن عَمْرو بْن قيس عيلان، وهم جديلة قيس، رَوَى عَن: جابر بْن عَبد اللَّهِ، وسُلَيْمان بْن صرد ، وعَبد اللَّهِ بْن عباس ، وعَبد الله بْن عُمَر ...رَوَى عَنه: الأزرق بْن قيس، وإسحاق بْن سويد العدوي، وثابت أَبُو سَعِيد.

قال أَبُو زُرْعَة ، وأَبُو حاتم ، والنَّسَائي: ثقة. (انظر: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1، 1400هـ – 1980م، ج32، ص 55- 54).

[48]- حُمَيْدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحِمْيَرِيُّ شَيْخٌ، بَصْرِيٌّ، ثِقَةٌ، عَالِمٌ.يَرْوِي عَنْ: أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي بَكْرٍ الثَّقَفِيِّ، وَابْنِ عُمَرَ...حَدَّثَ عَنْهُ: عَبْدُ اللهِ بنُ بُرَيْدَةَ، وَمُحَمَّدُ بنُ سِيْرِيْنَ، وَمُحَمَّدُ بنُ المُنْتَشِرِ، وَقَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ...قَالَ العِجْلِيُّ: تَابِعِيٌّ، ثِقَةٌ. ثُمَّ قَالَ: كَانَ ابْنُ سِيْرِيْنَ يَقُوْل: هُوَ أَفْقَهُ أَهْلِ البَصْرَةِ.

(انظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ - 1985م، ج4، ص294) .

[49]- أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، تح: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج1، كتاب الإيمان، حديث رقم8، ص36.

- **اتجاه المخالفين لأهل السنة والجماعة:** وأهم ما كان يمثله في عصر بني أمية أربع طوائف هي: الخوارج والشيعة والقدرية والجهمية، كل طائفة منها كان لها أثرها على فكر الاعتزال ونشأته في جانب من الجوانب:

1- الخوارج:

وهم الطائفة التي خرجت على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يوم التحكيم، حيث كرهوا الحكم والتحكيم وقالوا لا حكم إلا لله، وخرجوا عن إمرته وخلافته، وقالوا: شككت في أمرك، وحكَّمت عدوك في نفسك، ثم كفَّروه وكفَّروا معاوية وكل من رضي بالتحكيم[50].

هذا التعريف يخص الخوارج بالمعنى الاصطلاحي الذي يميزهم كطائفة عقدية لها أفكارها وعقائدها الخاصة بها، والتي تقوم على أمرين أساسيين هما: الخروج على الإمام العدل بالسيف وتكفيره باعتباره وقع في كبيرة، والكبيرة عندهم كفر، وهذا حصل في زمن علي - رضي الله عنه-، فهو كان الإمام الحق العادل، وهم قد خرجوا عليه معتقدين كفره، أما مجرد الخروج عليه من غير تكفير له فلا يعتبر صاحبه من الخوارج كما حدث من معاوية -رضي الله عنه- حيث خرج على علي بن أبي طالب وقاتله، ولم يعدَّه أحد من الخوارج.

أمَّا **نشأتهم** فإن الخوارج أقدم الطوائف ظهوراً، حيث كانت لهم نشأة جماعية لكن لم يكن لهم شوكة وأتباع كُثر، لم يكن لهم انتماء ظاهر لمذهب معين، وهذا ما كان من الجماعة التي خرجت على عثمان - رضي الله عنه - وقتلته فهم من الخوارج عند بعض العلماء[51].

---

[50]- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1369هـ - 1950م ج1، ص167.

[51]- علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص723.

وأمَّا نشأتهم كفرقة لها شعار تدعو إليه ومبادئ تنادي بها، فكان في عهد علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- بعد أن خرجوا عليه، هذا ما قرَّره أغلب أصحاب كتب المقالات والفرق[52].

وبعد افتراقهم عن الجماعة وتجمعهم، أمَّروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي[53] الذي خطب فيهم مبيناً المبدأ العام للخوارج وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والانفصال عن الظالمين كما هي نظرتهم[54].

واستمرَّ وجود الخوارج في عصر بني أمية، إذ قاموا بعدة ثورات ضد حكم الأمويين في المشرق والمغرب[55] بغية الإطاحة به لكنهم لم يفلحوا في ذلك، إذ أن السلطة الأموية قضت على ثوراتهم وتتبعتهم بالقتل والحبس والمطاردة، لكن مع ذلك أنهكت قوة الدولة الأموية وأرهقت[56].

والذي يهمُّنا هنا الأثر الذي أحدثه الخوارج في نشأة فكر الاعتزال – عن غير قصد- على الرغم من أن فرق الخوارج ذات طابع سياسي عسكري أكثر منها ذات طابع فكري كما هو شأن باقي الفرق ومنها المعتزلة.

يظهر ذلك الأثر في التقارب بين المذهبين في حكم مرتكب الكبيرة، فالخوارج كما سبق بيانه يحكمون عليه بالكفر في الدنيا وبإباحة دمه وماله، وبخلوده في النار في الآخرة، وقد وافق المعتزلة قول الخوارج بخلود أصحاب

---

[52]- عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 1421هـ - 2000م، ص307.

[53]- هو عبد الله بن وهب الراسبي من بني راسب، من رؤوس الخوارج الحرورية، ذكره بعضهم في كتب الضعفاء. (انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، (د ط)، (د ت) ج2، ص524).

[54]- الأشعري، المصدر السابق، ص210.

[55]- مثل: ثورة اليمامة بقيادة نجدة بن عامر الحنفي سنة 72هـ/691م، وثورة الصفرية في بلاد المغرب سنة 121هـ/739م.

[56]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص54،52-57،55، ابن خلدون، المصدر السابق، ص207،150،139،112، محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ط2، 1406هـ- 1985م، ص62-96،82.

الكبائر الذين يموتون على كبائرهم في النار وإن لم يوافقوهم في التكفير[57]، وهذا لأنهم حاولوا التوفيق بين التيارات المختلفة (بين الخوارج والمرجئة).

2- الشيعة:

كلمة شيعة استخدمت للدلالة على جماعة اعتقدت بأن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم[58].

وذهبت هذه الجماعة إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام عين علياً ليكون خليفة عنه، وأن الخلافة من ثم تكون فيه وفي عقبه دون غيرهم بالوصية والتعيين، وأن الخلفاء الذين تولوا الخلافة قبله قد سلبوا علياً هذا الحق[59]، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت العصمة للأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر[60].

لقد تضافرت عدة عوامل وأحداث أدت إلى ظهور الشيعة، منها معركة صفين، حادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل علي بن أبي طالب وابنه الحسين، كل هذه الحوادث زادت من عواطف الناس إلى التشيع لآل البيت، واستغل هذه العواطف بعض المغرضين فأثاروها وكونوا قاعدة كبيرة من المتشيعين، وبثوا فيهم عقائد فاسدة تخالف ما عليه جماعة المسلمين[61].

---

[57]- عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د ط)، 1428هـ-2007م، ص123.

[58]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص207..

[59]- أحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، السعودية، ط1، 1406هـ - 1986م، ص87-88.

[60]- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت- لبنان، (د ط)، 1428- 1429هـ - 2008م، ص118.

[61]- الحفظي، المرجع السابق، ص393.

وكانت أوَّل جماعة ظهر فيها التشيع وانصرف إليهم هذا المصطلح هم أصحاب حركة التوابين[62] التي ظهرت سنة 61هـ/681، وانتهت بالفشل سنة 65هـ/685م، وقد مهَّدت هذه الحركة لقيام أول فرقة هي المختارية[63]، على يد المختار بن أبي عبيد الثقفي[64] الذي دعا إلى إمامة محمد بن الحنفية[65]، فهذه هي بداية ظهور التشيع كفرقة لها أصول وأتباع[66]، ورغم القضاء على حركتهم، إلا أنَّ فكر الشيعة استمر في زمن الأمويين، وظهرت فرق أخرى كالإسماعيلية[67] والإمامية[68].

---

[62]- قام بها جماعة من ملأ الشيعة بالكوفة، حيث أمَّروا عليهم سليمان بن صرد، وأظهروا الندم على خذلانهم للحسين بن علي، وعزموا على الثأر لمقتله، وسموا أنفسهم جيش التوابين، حدث ذلك سنة65هـ/685م. (انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج9، ص30).

[63]- هم أصحاب المختار بن أ بي عبيد الثقفي (الكذاب)، كان خارجياً، ثم صار زبيرياً، ثم صار شيعياً وكيسانياً، قال بإمامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين رضي الله عنهما، وقيل: لا بل بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكان يدعو الناس إليه،وكان يظهر أنه من رجاله ودعاته، ويذكر علوماً مزخرفة بترهاته ينوطها به، ولما وقف محمد بن الحنفية على ذلك تبرأ منه، وأظهر لأصحابه أنه إنما نمس على الخلق ذلك ليتمشى أمره ويجتمع الناس عليه. (انظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ص119).

[64]- هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، الذي خرج يطلب بثأر الحسين بن علي، وتتبع قتلة الحسين وقتلهم، منهم عبيد الله بن زياد، الذي حمل رأسه إبراهيم بن الأشتر إلى المختار بالعراق، الذي بعث به إلى عبد الله بن الزبير بمكة، وفي سنة 67هـ/686م قتل مصعب بن الزبير المختار الذي ادعى النبوة. (انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج9، 59- 68).

[65]- هو أبو القاسم ويقال أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي طالب، وأمه خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة، من بني حنيفة بن لجيم، ولد لثلاث سنين بقيت من خلافة عمر بن الخطاب، وقد كان محمد هذا عالماً فاضلاً شجاعاً، توفي برضوى سنة 73هـ. (انظر: أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي، مشاهير علماء الأمصار، تح، مجدي بن منصور الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1416هـ - 1995م، رقم419، ص79).

[66]- جلي، المرجع السابق، ص159- 171.

[67]- هم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر بعد موت أبيه، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر، واختلفوا في موته في حال حياة أبيه، منهم من قال إنه مات، وإنما فائدة النص عليه انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة. (انظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ص153).

[68]- هم القائلون بإمامة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- بعد النبي عليه الصلاة والسلام، نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين، قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام. (انظر:المصدر نفسه، ص131).

3- الجهمية:

هي فرقة من الفرق المنتسبة إلى المسلمين، أسَّسها الجهم بن صفوان[69]، وقد اهتمت أولاً بالبحث في الأصول، ثم توسَّعت بعد ذلك كسائر الفرق التي استفحل أمرها وكثر رجالها[70].

ومذهب جهم وأتباعه يتلخص فيما يلي:

أولاً: نفي الأسماء والصفات الإلهية التي يمكن إطلاقها على المخلوق، والقول بخلق القرآن ونفي الرؤية.

ثانيا: القول بأن العبد **مجبور** على أعماله (فهم جبرية).

ثالثاً: القول بفناء الجنة والنار.

رابعاً: الإيمان هو المعرفة- فقط - والكفر هو الجهل.

خامساً: إن علم الله محدث[71].

وقد كان لبعض مقالات الجهمية هذه تأثير في فكر المعتزلة ونشأة عقائدهم، حيث ظهر لديهم نفي الصفات وإنكار الرؤية والقول بخلق القرآن كما سنبينه عند الكلام عن أسس المعتزلة إن شاء الله.

---

[69]- هو الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي السمرقندي، مولى من موالي بني راسب من الأزد، وأصله من الكوفة، أخذ الكلام عن الجعد بن درهم، أول ما ظهر مذهبه بترمذ، كان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، وأن الله الأمكنة كلها، وأن الإيمان عقد بالقلب فقط وإن تلفظ بالكفر، قتله سالم بن أحوز رئيس شرطة نصر بن سيار(الوالي الأموي) سنة 128هـ، لما قام مع الحارث بن سريج ، في زمان صغار التابعين. (انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج6، ص26-27).

[70]- عواد بن عبد الله محمد المعتق، موقف ابن القيم من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والصوفية، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط1، 1408هـ، ج1، ص46.

[71]- الأشعري، المصدر السابق، ص279- 280.

4- القدرية:

إن مسألة القدر من القضايا التي خاض فيها الناس وتنازعوا فيها قديماً وحديثاً، فقد ظهر من يتكلم في القدر في زمن مبكر من تاريخ هذه الأمة، وسُمّي نفاة القدر **بالقدرية**.

والقدرية فرقتان:

الأولى: غلاة القدرية، وهم المسمَّون بالقدرية الأولى، وهم أتباع معبد الجهني[72]، وغيلان الدمشقي[73] وقد نفوا صفة العلم عن الله تعالى، وقد كانوا يقولون إن الله أمر العباد ونهاهم وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك فعلمه بعدما فعلوه، ولهذا قالوا إن الأمر أنف، وهؤلاء تصدَّى لهم أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ووقفوا في وجوههم فلم ينتشر قولهم[74]، وهم الذين تبرأ منهم من سمع بهم من الصحابة كعبد الله بن عمر كما تقدم ذكره آنفاً، وعرف عن الأمويين محاربتهم لتلك الآراء وقتل دعاتها كقتل الجعد بن درهم[75] في عهد هشام بن عبد الملك.

---

[72]- هو معبد بن خالد الجهني البصري، أول من تكلم في القدر بالبصرة، قدم المدينة فأفسد فيها ناساً، أخذ عن رجل من أهل العراق يقال له سوسن، كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر، وأخذ غيلان عن معبد، مات سنة 80هـ/699م ، قيل صلبه عبد الملك بن مروان، وقيل خرج مع ابن الأشعث فأخذه الحجاج فعذبه ثم قتله. (انظر: أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، تح: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة- بيروت، (د ط)، (د ت)، ج4، ص116-117).

[73]- هو أبو مروان، غيلان بن مسلم، حدث عنه يعقوب بن عتبة، كان من بلغاء الكتاب، لكنه كان قدرياً داعية، غير ثقة ولا مأمون، كان مالك ينهى عن مجالسته، استتابه عمر بن عبد العزيز وهم بقتله، وفي عهد هشام بن عبد الملك ناظره الأوزاعي وأفتى بقتله، فقتله هشام وصلبه. (انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تح: عبد الفتاح أبوغدة، دارا لبشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط1، 1423هـ - 2002م، ص314).

[74]- عبد الرحمن بن صالح المحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ط2، 1418هـ -1997م، ص162، 165، شاهرة بنت حسين القحطاني، طريقة القرآن الكريم في تثبيت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر (رسالة ماجستير)، جامعة الملك خالد، السعودية، 1429-1430هـ /2008- 2009م، ص31-32.

[75]- هو الجعد بن درهم من الموالي، له أخبار في الزندقة، سكن الجزيرة الفراتية، أخذ عنه مروان بن محمد لما ولي الجزيرة في أيام هشام بن عبد الملك فنسب إليه، قال الذهبي: عداده في التابعين، مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، لذلك قتله خالد القسري (الأمير الأموي بالعراق) عام 118هـ يوم النحر. (انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1406هـ- 1986م، ج2، ص121).

الثانية: وهم دون القدرية الغلاة، وهم يثبتون علم الله بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم، وواقعة منهم على جهة الاستقلال، فأنكروا تعلق الإرادة بأفعال العباد فراراً من تعلق القديم بالمحدث[76].

وهذه الفرقة صار يمثلها المعتزلة فيما بعد، حيث إن مشايخ المعتزلة الأوائل تأثروا بآراء القدرية الأولى في أصل نفي القدر، وإن خالفوها في إثبات العلم كما سيأتي بيانه إن شاء الله في المبحث الآتي.

هذه أهمُّ الفرق والمذاهب التي كانت موجودة في العصر الأموي، والتي مثلت الاتجاه المخالف لأهل السنة والجماعة، وتُكَوِّن بمجموعها مع أهل السنة الفكرَ السائد آنذاك، ونلحظ أن الخوارج والشيعة من المذاهب السياسية ابتداءً، ثم صارت سياسية وعقدية فيما بعد، أمَّا الجهمية والقدرية فهما من المذاهب العقدية المحضة نشأة واستمراراً.

[76]- القحطاني، المرجع السابق، ص33.

المبحث الأول مفاهيم عن المعتزلة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالمعتزلة

المطلب الثاني: عوامل ظهور المعتزلة

المطلب الثالث: أسس مذهب المعتزلة

المبحث الأول: مفاهيم عن المعتزلة

وفيه ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: التعريف بالمعتزلة

الفرع الأول: التعريف اللغوي:

كلمة المعتزلة يرتبط معناها بمعنى الاعتزال، و **الاعتزال لغة:** مأخوذ من اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنحّى عنه، ومنه تعازل القوم بمعنى تنحّى بعضهم عن بعض، وكنت بمعزل عن كذا وكذا أي: كنت في موضع عزلة منه، واعتزلت القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم.

والمعزال: الراعي المنفرد، والضعيف الأحمق.

والأعزل: الرمل المنفرد المنقطع، ومن لا سلاح معه.

فالاعتزال معناه: الانفصال والتنحّي، والمعتزلة هم المنفصلون[77]، لأنهم انفصلوا عن غيرهم وتنحوا عنهم؛ حسياً (بالأبدان) أو معنوياً (بالأفكار).

[77] ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت– لبنان، (د ط)، 1398هـ - 1978م، ج4، ص15.

الفرع الثاني: التعريف الاصطلاحي:

أما لفظ **المعتزلة في الاصطلاح**: فهو اسم يطلق على فرقة – كلامية – ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً(غالياً) في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري[78].

ويلاحظ هنا التناسب الواضح بين المعنيين اللغوي و الاصطلاحي للاعتزال، فواصل بن عطاء اعتزل شيخه في القول والمعتقد أي انفصل عنه وفارقه الرأي، ونتج عن ذلك اعتزاله الحسي لمجلسه حيث فارقه وتنحَّى عنه، وهذا ينطبق أيضاً على أصحاب واصل وأتباعه لأنهم قالوا بقوله فاعتزلوا علماء الأمة وفارقوا أقوالهم فسمُّوا معتزلة.

المطلب الثاني: عوامل ظهور المعتزلة

كانت هناك عدة عوامل أدت إلى ظهور المعتزلة منها ما يلي:

1– حلُّ مشاكل الخلاف بين المسلمين:

بعد فتور حركة الفتح واستقرار المسلمين في الأمصار نشأت بينهم مشاكل تحتَّم عليهم أن يدرسوها ويجدوا لها حلولاً شرعية، من تلك المشاكل المثارة قضية مرتكبي الكبائر والذنوب التي هي دون الشرك، وذلك أنه أقدم الناس على ارتكاب الكبائر بسبب اختلاف القادة على الحكم والخلافة، وحدثت فتن قتل أثناءها كثير من الصحابة والمسلمين، إضافةً إلى أن المسلمين بعد الفتح انتقلوا من الصحراء و إلى محيط واسع فيه ضروب الترف والرخاء والدعة، فحز ذلك في نفوس أهل العلم وساءهم أن يروا إخوانهم يجترئون على المعاصي، فعكفوا على دراسة هذه المشكلة وإصدار أحكامهم فيها ، فكثرت بذلك المناظرات والمجادلات، واختلفت الآراء، فأهل السنة

[78]– عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1416هـ – 1995م، ص13– 14.

والجماعة – أتباع السلف- يرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن لكنه ناقص الإيمان، فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وليس كافراً .

أمَّا الخوارج فخالفوا أهل السنة في هذا وقالوا: إن مرتكب الذنوب والكبائر كافر مخلد في النار إن مات على ذلك.

وأحدث المرجئة[79] رأياً مناقضاً لرأي الخوارج في مرتكب الكبيرة، وقالوا: العمل ليس داخلاً في الإيمان، وبالتالي مرتكب الكبيرة كامل الإيمان، ثم تعاظم الخلاف بين الطوائف، واحتدم الجدال، وصارت تعقد حلقات المناظرة في مساجد البصرة وغيرها، أهمها حلقة الحسن البصري[80]،

في ذلك الجو المشحون بالخلاف ظن واصل بن عطاء[81] – تلميذ الحسن- أنه في مقدوره أن يجيء بحكم خير من الأحكام السابقة يحل المشكلة، فقال: إن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، لأن أحكام المؤمنين والكافرين والمنافقين زائلة عنه[82].

---

[79]- هم جماعة كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، ويقولون لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، ويخرجون العمل عن مسمى الإيمان. (انظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ص112).

[80]- هو الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد البصري، إمام أهل البصرة وسيد التابعين وخير أهل زمانه، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وسمع خطبة عثمان، وكان جميلاً فصيحاً، قيل: إنه لم يكن أفصح منه والحجاج، توفي سنة 110هـ/728م. (انظر: شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م، ج1، ص136).

[81]- هو أبو حذيفة واصل بن عطاء البصري الغزَّال المتكلم، رأس المعتزلة، ولد سنة 80هـ/699م، بالمدينة، درس على الإمام محمد بن الحنفية، حيث تأثر به كثيراً، ثم انتقل إلى البصرة ولزم مجلس الحسن البصري إلى أن اختلفا في مسألة مرتكب الكبيرة، فاعتزل مجلسه، له من التصانيف كتاب أصناف المرجئة، وكتاب معاني القرآن، مات سنة 131هـ/749م. (انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج4، ص329).

[82]- المعتق، المعتزلة، المرجع السابق، ص30-32 بتصرف.

2- أثر الديانات الأخرى:

بعد أن استقرَّ المسلمون في البلدان التي فتحوها، وجدوا بها أقواماً يدينون بديانات شتى، ففي الشام ومصر والأندلس كانت اليهودية والنصرانية، وفي العراق وفارس المجوسية بفرقها المتعددة، فعاش المسلمون بين أصحاب تلك الأديان، وحدث اتصال بهم، فتأثر بعضهم بآرائهم وأفكارهم التي تسربت نتيجة ذلك الاحتكاك، وقد تم ذلك التأثر بطرق مختلفة، منها: ترجمة بعض الكتب القديمة التي تتضمن علوم وفلسفات الفرس والهنود واليونان والرومان، مما أثَّر على عقائد المسلمين، وجرهم إلى مناظرات كان للمعتزلة النصيب الأوفر منها، ومنها دخول أهل الملل الأخرى في الإسلام؛ حيث جاءوا بمعارف غريبة عن عقائد المسلمين، إما عن غير عمد بل عن جهل، وإما عن قصد وعمد فنشروا معتقداتهم بغرض إفساد الدين وهدمه، وتجلى أثر تلك الديانات في المعتزلة بانتقال بعض مقالات أصحابها إلى المعتزلة الأوائل، كانتقال مقالة خلق التوراة عند بعض اليهود إلى المعتزلة فقالوا بخلق القرآن تبعاً لهم.

ويعد غيلان الدمشقي أكبر داعية إلى القدر بعد الجهني، وكان قبطيًّا، فكان يدعى غيلان القبطي، إشارةً إلى أصله النصراني.

كان يحي الدمشقي[83] - وهو نصراني- يقول ببعض المقالات، والتي صارت عند المعتزلة فيما بعد، **كالقول بخير الله تعالى**، أي أن الله خير ومصدر كل خير، والمعتزلة كانوا يرون أن الله لا يفعل الشر، ولا يوصف بالقدرة على فعله، ومقصودهم بالفعل هنا الخلق، **والقول بالأصلح**، فكان يرى أن الله يهيئ لكل شيء في الوجود ما هو أصلح له، والمعتزلة من عقائدهم وجوب رعاية الأصلح، أي أن الله لا يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم، **والقول بنفي الصفات**، فكان يحي ينفي الصفات عن الله، وحجته في ذلك أننا لا نستطيع أن نحدد الله تعالى أو ندرك

[83] - هو القديس يحي بن سرجون الدمشقي، واسمه العربي منصور، ولد سنة 81هـ/700م، وهلك سنة 137هـ/754م، كان كبير القدر وقديساً، له قيمته في الكنيستين الشرقية والغربية. (انظر: المعتق، المعتزلة، المرجع السابق، ص36، هامش).

طبيعته، ولأن الصفات تقتضي التركيب من عناصر مختلفة، والتركيب محال على الله لأنه عنصر واحد، وإلى القول بنفي الصفات وتعطيلها ذهبت المعتزلة.

للإشارة فإن المعتزلة لم يتأثروا في بادئ الأمر بأرباب الديانات الأخرى مباشرة، فقد سبقهم جماعة اطلعوا على العقائد النصرانية واليهودية ودرسوها، وهم فرقتان: فرقة قالت بخلق القرآن، وأخرى قالت بنفي القدر، وأول رجال الفرقة الأولى: الجعد بن درهم، وعن الجعد أخذ الجهم بن صفوان أكثر أقواله، وكان الجهم جبرياً لا يثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل، وكان ينفي الصفات، ويقول بخلق القرآن، وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع...الخ.

أمَّا الفرقة الأخرى: فهي القدرية التي كانت تثبت للإنسان قدرة على أفعاله وحرية في اختيارها، وأول رجالها عمر المقصوص الذي ظهر بدمشق[84]، ومات سنة 80هـ/699م، وكان أستاذاً للخليفة معاوية بن يزيد، فقتله الأمويونبتهمة إفساد الخليفة.ويأتي بعده معبد الجهني الذي تكلم بالقدر في البصرة[85]، وكان يجالس الحسن البصري فاقتدى به جماعة منهم عمرو بن عبيد المعتزلي، ولما عظمت به الفتنة صلبه الحجَّاج[86] بأمر من عبد الملك بن مروان، إضافة إلى غيلان الدمشقي الذي أخذ القول بنفي القدر عن معبد الجهني فصلبه هشام بن عبد الملك.

---

[84] دمشق، بكسر أوله، وفتح ثانيه، هكذا رواه الجمهور، والكسر لغة فيه، وشين معجمة، وآخره قاف: البلدة المشهورة قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة وكثرة مياه ووجود مآرب، قيل: سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا..قال صاحب الزيج: دمشق طولها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف، وهي في الإقليم الثالث...قيل: بنيت دمشق على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمس وأربعين سنة من جملة الدهر الذي يقولون إنه سبعة آلاف سنة، وولد إبراهيم الخليل، عليه السلام، بعد بنائها بخمس سنين. (انظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م، ج2 ص463).

[85] البصرة طولها أربع وسبعون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة، وهي في الإقليم الثالث، قال ابن الأنباري: البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة...قال ابن الأعرابي: البصرة حجارة صلاب، قال: وإنما سميت بصرة لغلظها وشدّتها...ثمّ فتحها وتصيرها في عهد عمر بن الخطاب. (انظر:المصدر نفسه، ج1،ص430).

[86] هو الحَجَّاجُ بنُ يُوْسُفَ الثَّقَفِيُّ : ولي العِرَاقِ وَالمشْرِقِ كُلِّه عِشْرِيْنَ سَنَةً،... كَانَ ظَلُوْماً، جَبَّاراً، نَاصِبِيّاً... سَفَّاكاً لِلدِّمَاءِ، وَكَانَ ذَا شَجَاعَةٍ، وَإِقْدَامٍ، وَمَكْرٍ، وَدَهَاءٍ، وَفَصَاحَةٍ، وَبَلاَغَةٍ، وَتَعَظِيْمٍ لِلْقُرْآنِ...من أحداثه حِصَارُهُ لابْنِ الزُّبَيْرِ بِالكَعْبَةِ، وَرَمْيِهِ إِيَّاهَا بِالمَنْجَنِيْقِ..وَخُرُوْبِ ابْنِ الأَشْعَثِ لَهُ، وَتَأْخِيْرِهِ لِلصَّلَوَاتِ.. وَلَهُ حَسَنَاتٌ مَغْمُوْرَةٌ فِي بَحْرِ ذُنُوْبِهِ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، وَلَهُ تَوْحِيْدٌ فِي الجُمْلَةِ، وَنُظَرَاءُ مِنْ ظَلَمَةِ الجَبَابِرَةِ وَالأُمَرَاءِ. مات فِي رَمَضَانَ، سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِيْنَ. (انظر: الذهبي، السير، المصدر السابق ، ج4، ص343 بتصرف).

وبينما الجعد ومن تبعه من الجهمية يقولون بخلق القرآن ونفي الصفات في العراق والشام وغيرهما، والقدرية في البصرة تنفي القدر؛ ظهرت المعتزلة في البصرة – التي كانت عش القدر– تحت تأثير التيارات الفكرية المختلفة التي وجدوها، وكانت تعاليمهم خليطاً من أقوال القدرية والجهمية[87].

3– الدفاع عن الإسلام وعقيدته:

لقد انتسب إلى الإسلام طوائف من المجوس واليهود والنصارى وغيرهم، ولكنهم لم يتخلصوا من التعاليم والعقائد السابقة لما أعلنوا إسلامهم، فمنهم من كان يظهر الإسلام ويبطن الكفر؛ إما خوفاً ورهبة أو رجاء نفع دنيوي؛ وإما الإفساد وتضليل المسلمين، وانتحلوا أسماء فرق تتظاهر بالإسلام لكنها هادمة له في حقيقة أمرها، ووجد هذا في الفرس أكثر منه في أهل الكتاب، لأنهم كانوا أصحاب مجد قديم وسيادة عريقة، وكانوا يشعرون أنهم أرفع من العرب شأناً وأعلى قدراً، لذلك كان مقتهم للمسلمين الذين قضوا على دولتهم شديداً، فراحوا يكيدون للإسلام بشتى الوسائل للقضاء على سلطانه، (ورأوا أن الكيد بالحيلة أنجح، فاستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة آل بيت الرسول–صلى الله عليه وسلم–، واستشناع ظلم علي – رضي الله عنه–، وسلكوا بهم مسالك مختلفة حتى أخرجوهم عن الإسلام)؛ فتم لهم ما أرادوا من التفرقة وإحداث الضلالات، وأتت هذه الفرق والحركات بشبه تقوى بها مزاعمها، ولدحض هذه الشبه كان لابد من عقد المناظرات والدخول في علم الكلام الذي تعرفه المعتزلة وخاضوا فيه، وناظروا تلك الحركات والفرق بأسلوب جدلي يناسب عقولها ويدحض مزاعمها، فتشكل بذلك علم الكلام الجدلي الذي اشتهر به المعتزلة وكان من عوامل بروزهم وذيوع صيتهم ومن المعلوم أن المجادلات والمناظرات تولد الأفكار وتنمي المبادئ وتنشرها، وتجعل لأصحابها شهرة ينتج عنها كثرة الأتباع؛ وبالتالي انتشار تلك المبادئ والأفكار[88].

---

[87]– المعتق، المعتزلة، المرجع السابق، ص34– 40 بتصرف.

[88]– المرجع نفسه، ص43– 45 بتصرف.

4- دراسة الفلسفة:

لما بدأ المعتزلة في الدفاع عن العقائد وشرعوا يجادلون المخالفين، وجدوا أن أولئك القوم أقدر على الجدل والمناظرة؛ لأنهم كانوا أصحاب حضارة وثقافة عالية، وكان لهم معرفة بالفلسفة والعلوم العقلية، واستطاعوا أن يرتبوا عقائدهم على أصول فلسفية وكلام منطقي دقيق، فرأى المعتزلة أنهم لن يتمكنوا من مجاراتهم وغلبتهم ما لم يعمدوا مثلهم إلى درس الفلسفة والإفادة منها في دعم حججهم وتقوية أقوالهم، لذا أقبل المعتزلة على درس الفلسفة لمحاربة الخصوم بسلاحهم وأساليبهم التي ألفوها، معتمدين في ذلك على الكتب التي ترجمت من اليونانية إلى العربية وخلطوا كلامهم بكلام الفلاسفة[89]، محاولين التوفيق بين الشريعة والفلسفة اليونانية، فنتج عن ذلك ما عرف **بعلم الكلام**، فكانوا أقدم المتكلمين في الإسلام، وكان لعلم الكلام هذا أثر كبير في شهرتهم بين الفرق، بل نمَّى أفكارهم وأوجد لهم آراء جديدة.

هذه هي أهمُّ العوامل والأسباب التي أدت إلى نشوء الاعتزال وقيام المعتزلة وتطور أفكارهم فيما بعد، وإن كانت هناك عوامل أخرى آثرت عدم ذكرها لأن المقام لا يتسع لذلك.

المطلب الثالث: أسس مذهب المعتزلة

يقوم مذهب المعتزلة على خمسة أصول هي عنوان لكل من يبغي الانتساب إليهم، وهذه الأصول هي:

- التوحيد.

- العدل، ولهذا يسمُّون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد.

- المنزلة بين المنزلتين.

---

[89]- المعتق، المعتزلة، المرجع السابق، ص47، 49-50 بتصرف.

- الوعد والوعيد.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[90].

ولابد من اجتماع هذه المبادئ الخمسة كلِّها في الشخص حتى يكون معتزليًّا، فمن " أنقص منها أو زاد لا يستحق لقب الاعتزال"[91]، يقول أبو الحسين الخياط[92]: "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة... فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي"[93]، وهذا بيان كلٍّ أصل منها باختصار:

1- الأصل الأول: التوحيد:

والتوحيد في اصطلاح المتكلمين هو: العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه والإقرار به[94]. ومن أجل إثبات وحدانية الله تبارك وتعالى، وتنزيهه عن الشريك وتعدد القدماء، فإن المعتزلة عطلوه عن جميع ما يستحقه في هذا الباب، فالتوحيد عند المعتزلة يخالف التوحيد الذي عند أهل السنة والجماعة[95]، ويظهر ذلك فيما يلي:

---

[90]- الأشعري، المصدر السابق، ص338.

[91]- أبو لبابة حسين، موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، دار اللواء، الرياض، ط2، 1407هـ - 1987م، ص41.

[92]- هو عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط، أحد متكلمي المعتزلة البغداديين، وإليه تنسب طائفة الخياطية من المعتزلة، وهو أستاذ أبي القاسم الكعبي، له عدة مصنفات منها: كتاب الانتصار الذي خصصه للرد على ابن الراوندي. (انظر: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج11، ص87).

[93]- أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط، الانتصار، تح: د. نيبرج، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1344هـ - 1925م، ص126.

[94]- القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة – القاهرة، ط1، 1384هـ - 1965م، ص128.

[95]- علي بن سعد بن صالح الضويحي، آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً، مكتبة الرشد، الرياض، ط3، 1421هـ- 2000م، ص82.

أولاً: إنكار الصفات:

اشتهر عن المعتزلة نفي الصفات، ففي كتاب الإبانة: "ونفت المعتزلة صفات رب العالمين "[96]، حيث يثبتون أسماء بلا صفات، لأنهم ظنوا أن إثبات الصفات لله يقتضي تشبيهه بمخلوقاته، ويقتضي ذلك جعل الإله الواحد مبعَّضاً وذا أجزاء، فعندهم" ليس يكون كلٌّ من انتحل اسم التوحيد موحداً إذا جعل الواحد ذا أجزاء، وشبهه بشيء ذي أجزاء "[97].

ثانياً: القول بخلق القرآن:

فالمعتزلة مجمعون على أن القرآن مخلوق محدث[98]. يقول القاضي عبد الجبار: " وأمَّا مذهبنا في ذلك، فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق محدث"[99].

هذا المذهب ورثه المعتزلة عن الجهمية، واشتهروا به خاصة في العصر العباسي، وهو متفرع عن نفي الصفات.

ثالثاً: إنكار رؤية الله تعالى في الآخرة:

هذه المسألة أيضاً مبنية على أصل إنكار صفات الله عزَّ وجلَّ، فما هو متقرّر أن " من أسس عقيدة المعتزلة وجوب نفي رؤية الله تعالى، ومن لم يعتقد ذلك عندهم فهو كافر مشبّه "[100]، يقول القاضي عبد الجبار: "ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية"[101].

---

[96]- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تح: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، مصر، ط1، 1397هـ - 1977م، ص158.

[97]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، 1384هـ - 1964م، ص229.

[98]- الضويحي، المرجع السابق، ص95.

[99]- عبد الجبار، المصدر السابق، ص528.

[100]- المرجع السابق، ص98-99.

[101]- المصدر السابق، ص232.

2- الأصل الثاني: العدل:

هذا الأصل من أهم المبادئ التي يقوم عليها مذهب المعتزلة بعد اكتمال المذهب ونضجه، حتى صار يطلق عليهم اسم **العدلية**[102] لاختصاصهم واشتهارهم به.

والعدل في اصطلاح المعتزلة: يراد به أن أفعال الله كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يخل بما هو واجب عليه[103].

هذه العبارة فيها حق وباطل، فأمَّا أن أفعال الله كلها حسنة وأنه لا يفعل القبيح فهذا حق، لأن الله نفى عن نفسه الظلم، فأمَّا إن أرادوا نفي خلق الله تعالى للشر فهي مقولة باطلة، لأن الله تعالى هو خالق الخير والشر، والشر إنما يكون في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله[104].

والمتقرر عند أهل السنة أنه "هو سبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته، لا في خلقه وفعله"[105].

وبنى المعتزلة على أصلهم هذا إنكارَ خلق الله لأفعال العباد فلم يردها ولم يشأ وقوعها، حيث " أجمعوا أن الله لا يحب الفساد، ولا يخلق أعمال العباد بل العباد يفعلون ما أمروا به... "[106].

ووجه الاشتباه عندهم هو أنهم لم يفرقوا بين الخلق والفعل، أي: بين خلق الله لأفعال العباد وبين فعله لها، فظنوا أن الله لو كان خالقاً لأعمال الشر لكان فاعلاً لها متصفاً بها.

---

[102]- الضويحي، المرجع السابق، ص73.

[103]- عبد الجبار، المصدر السابق، ص132.

[104]- المرجع السابق، ص106-107 بتصرف.

[105]- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تح: الحساني حسن عبد الله، مكتبة دار التراث ، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص359.

[106]- أبو القاسم البلخي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1406هـ- 1986م، ص63.

3- الأصل الثالث: المنزلة بين المنزلتين:

ومقصود المعتزلة بهذا أن مرتكب الكبيرة ليس في منزلة أهل الإيمان ولا في منزلة أهل الكفر والنفاق، بل هو في منزلة بينهما، فلا يسمى مؤمناً ولا كافراً، بل يسمى فاسقاً، يقول القاضي عبد الجبار: " صاحب الكبيرة لا يسمَّى مؤمناً ولا كافراً ولا منافقاً، بل يسمى فاسقاً، وكما لا يسمى باسم هؤلاء، فإنه لا يجري عليه أحكام هؤلاء، بل له اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين "[107].

وسيأتي مزيد بيان لهذا الأصل في المبحث الثاني - صلب الموضوع- إن شاء الله.

4- الأصل الرابع: الوعد والوعيد:

الوعد عند المعتزلة هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل، والوعيد هو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير، أو تفويت نفع عنه في المستقبل[108].

ومقصود المعتزلة بأصل الوعد والوعيد أن الله تبارك وتعالى يجب عليه أن يفعل ما وعد به، وما توعَّد عليه، فيثيب المطيعين ، ويعاقب العصاة وجوباً، أي: يجب عليه إنفاذ وعده ووعيده، وإلاَّ كان خلفاً وكذباً.

يقول القاضي عبد الجبار[109]: " وأمَّا علوم الوعد والوعيد فهو أن يعلم أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه تعالى يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب "[110].

---

[107]- عبد الجبار، المصدر السابق، ص 139- 140.

[108]- المصدر نفسه، ص134- 135.

[109]- هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمداني المعتزلي، من كبار فقهاء الأصوليين والفقهاء الشافعية، عمَّر دهراً في غير السنة، تصانيفه كثيرة منها: دلائل النبوة، شرح الأصول الخمسة، المغني وغيرها، وهو من الطبقة الثانية عشرة، توفي سنة 415هـ/1024م. (انظر: ابن العماد، المصدر السابق، ج3، ص202- 203).

[110]- المصدر السابق، ص135- 136.

ورتب المعتزلة على هذا الأصل إنكارهم الشفاعة لعصاة المؤمنين[111]، أي أن أهل الكبائر مخلَّدون في النار في مذهبهم.

5- الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المعروف عند المعتزلة هو كل فعل عرف فاعله حسنه، أو دل عليه، والمنكر عندهم هو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه[112].

والمعتزلة: "أجمعوا أن على المسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجبان بأي جهة استطاعوهما، بالسيف فما دونه "[113].

ويبين القاضي عبد الجبار مقصودهم بهذا الأصل فيقول: "واعلم أن المقصود بالأمر بالمعروف إيقاع المعروف وبالنهي عن المنكر زوال المنكر، فإذا ارتفع الغرض بالأمر السهل ، لم يجز العدول عنه إلى الأمر الصعب "[114].

ومعنى ذلك: أنه يجب معالجة المنكر بالتدرج من الأسهل إلى الأصعب، ولا يجوز العكس، فمن استطاع تغيير المنكر باللسان لم يجز له العدول عنه إلى اليد، ومن استطاعه باليد لم يجز له العدول عنها إلى السيف وهكذا[115].

والمعتزلة يرون الخروج بالسيف على السلاطين المخالفين لهم من صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

[111]- البلخي، المصدر السابق، ص207.

[112]- عبد الجبار، المصدر السابق، ص141.

[113]- المصدر السابق، ص64.

[114]- المصدر السابق، ص144.

[115]- الضويحي، المرجع السابق، ص127-128، المعتق، المعتزلة، المرجع السابق، ص274.

حيث: "إن المعتزلة قالوا: إذا كنا جماعة وكان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفينا، عقدنا للإمام ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه، وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا، فإن دخلوا في قولنا الذي هو التوحيد، وفي قولنا بالقدر، وإلاَّ قتلناهم... وأوجبوا الخروج على السلطان على الإمكان والقدرة إذا أمكنهم ذلك وقدروا عليه..."[116].

هذه هي مبادئ المعتزلة التي استقر عليها مذهبهم والتي سطروها في كتبهم أو نقلت عنهم تكلمنا عنها بإيجاز، وقد مرَّ مذهبهم في تطوره بمراحل، منها مرحلة النشأة التي وافقت أواخر العصر الأموي، والتي سندرسها في المبحث الموالي (الثاني) إن شاء الله.

[116] – الأشعري، المقالات، المصدر السابق، ص278.

المبحث الثاني: المعتزلة في العصر الأموي كما يصوِّرهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل

المطلب الأول: التعريف بالشهرستاني

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الملل والنحل للشهرستاني

المطلب الثالث: عرض الشهرستاني لمذهب لمعتزلة في العصر الأموي في كتابه (الملل والنحل)

المطلب الرابع: علاقة المعتزلة بالأمويين

المبحث الثاني: مذهب المعتزلة في العصر الأموي كما قرره الشهرستاني في (الملل والنحل)

بعد العرض الموجز للجانب السياسي والبيان المختصر للاتجاهات الفكرية السائدة في فترة الدولة الأموية، وبعد الكلام عن المعتزلة إجمالاً من حيث التعريف وذكر أسس مذهبهم وعوامل قيامه؛ أنتقل إلى الكلام عن أفكار المعتزلة وآرائهم خلال العصر الأموي كما بينها الإمام الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، معرجاً على التعريف بالشهرستاني وبكتابه الملل والنحل، مع محاولة تحديد منهجه فيه، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: التعريف بالشهرستاني

الفرع الأول: حياته الشخصية:

أولاً: اسمه ونسبه:

هو محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، ويعرف بـ الشهرستاني نسبة إلى شهرستان، وكنيته: أبو الفتح، ويلقب بـ تاج الدين[117].

أمَّا عن:"أصله فإنه أعجمي أباً عن جد، ولم يرد ما يدل على خلاف ذلك في كتب التراجم"[118]، بل أورد عبارة تشير إلى أنه أعجمي حيث قال: "...لئلا يُظن بي من حيث أنا فقيه ومتكلم ... أعجمي القلم بمداركه ومعالمه"[119]، فهو أعجمي من بلدة شهرستان وإليها ينسب.

---

[117]- انظر: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د ط)، (د ت)،ج4، ص78، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج4، ص273.

[118]- محمد بن ناصر السحيباني، منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: عرض وتقويم، دار الوطن، الرياض، (د ط)، (د ت)، ص32.

[119]- الشهرستاني، المصدر السابق، ص25.

و"**شَهْرَسْتان**" كلمة أعجمية فارسية، مركبة من جزأين: الأول: "شهر" أي مدينة، والثاني: "ستان" أي ناحية، فكأنها مدينة الناحية[120]، وقد بُنيت في النصف الثاني من القرن الهجري الثالث[121].

ثانياً: مولده ووفاته:

اتفق المؤرخون والباحثون على أن الإمام الشهرستاني ولد وتوفي في بلدته (شهرستان)[122]، ولكنهم اختلفوا في زمانهما، وإن كان الخلاف في زمن الوفاة بدرجة أقل، فأما تاريخ ولادته ففيه ثلاثة أقوال هي:

القول الأول: أنه ولد سنة سبع وستين وأربعمائة (467ه/1074مـــ)[123].

القول الثاني: أنه ولد سنة تسع وستين وأربعمائة (469ه/1076مـــ)[124].

القول الثالث: أنه ولد سنة تسع وسبعين وأربعمائة (479ه1086مـــ)[125].

ولا أريد الإطالة في تفصيل هذه الأقوال وحجج من قال بكل منها، لأن المقام لا يتسع لذلك، وأكتفي بذكر ترجيح أحد الباحثين المعاصرين وهو السحيباني حيث يقول: " وعلى ذلك يترجَّح لدينا القول الثالث - أي أنه ولد سنة 479هـــ/1086م - الذي ذكره السمعاني الذي كان معاصراً للمؤلف، وبنى قوله على ما صرَّح به المؤلف نفسه، عندما سأله عن مولده، حيث قال السمعاني: "وسألته عن مولده، فقال: سنة تسع وسبعين وأربعمائة "[126].

---

[120] - انظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص376.

[121] - انظر: المصدر نفسه، ص377.

[122] - انظر: المصدر نفسه.

[123] - انظر: الذهبي، السير، المصدر السابق، ج20، ص287.

[124] - انظر: أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، التحبير في معجم الكبير، تح: منيرة ناجي سالم، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1395هـــ، ج2، ص162.

[125] - انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ص274.

[126] - المصدر نفسه.

ووافق السمعانيّ[127] على هذا القول جمع من المؤرخين والباحثين"[128].

أمَّا سنة وفاته فالاختلاف فيها يسير، يكاد لا يعتد به، واختلفوا على قولين:

الأول: أنه توفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (548هـ/1153م)، وهذا قول أكثر المترجمين للشهرستاني منهم السمعاني المعاصر له[129].

الثاني: أنه توفي سنة تسع أربعين وخمسمائة (549هـ/1154م)، وهو قول صاحب كتاب معجم البلدان[130].

والراجح هو القول الأول لكثرة من قال به من المؤرخين، ولأنه قول من عاصر الشَّهرستاني كالسَّمعاني[131].

الفرع الثاني: حياته العلمية:

أولاً: طلبه للعلم:

لقد سخر الشَّهرستاني معظم حياته للعلم، تعلماً وتعليماً، فمنذ صغره وهو يتردد على حلقات العلم في مساجد بلده، حيث تتلمذ على علماء ذلك البلد، ثم شرع بعد ذلك في الرحلة إلى البلدان المجاورة للاستزادة من العلم[132]. ولم يقتصر على فن من العلوم، بل طلب فنوناً متعددة وعلوماً متنوعة، فأول علم تعلمه – من العلوم الشرعية –وتلقاه من مشايخ بلده هو علم التفسير حتى عقله يقول عن نفسه: " ولقد كنت على حداثة سني أسمع

---

[127]– عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد: مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث، مولده ووفاته بمرو، رحل إلى أقاصي البلاد، ولقي العلماء والمحدثين، وأخذ عنهم، وأخذوا عنه، نسبته إلى سمعان (بطن من تميم) ، من كتبه، " الأنساب، التحبير في المعجم الكبير. (انظر:الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص55).

[128]– انظر: السحيباني، المرجع السابق، ص42.

[129]– انظر: السمعاني، المصدر السابق نفسه.

[130]– الحموي، المصدر السابق، ص377.

[131]– انظر: السحيباني، المرجع السابق، ص43-44.

[132]– انظر: المرجع نفسه، ص49.

تفسير القرآن من مشايخي سماعاً مجرداً حتى وفقت فعلقته على أستاذي ..."[133]، ثم سمع الحديث وهو لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، وكذلك تعلم الفقه حتى برع فيه، ثم توسع في طلب العلم في مجالاته المختلفة حتى أجاد بعضاً منها حتى لقب بألقاب تنبئ عن سعة علمه، حيث لقب بـ: الفقيه، والمتكلم، والأصولي، والمحدث، والمفسر، والرياضي، والفيلسوف[134]. وكان لعلمه يلقب أيضاً بالأفضل، برع في الأصول والكلام[135].

ومما قيل في الثناء عليه، قول السمعاني:

"كان إماماً فاضلاً متكلماً أصولياً عارفاً بالأدب والعلوم المهجورة "[136]، وأقوال العلماء في الثناء على علمه كثيرة.

وأنا حسب قراءتي لفصول من كتابه الملل والنحل؛ وجدته من أكثر العلماء اطلاعاً على أقوال الناس والطوائف ومقالات الفرق والمذاهب، ووجلٌ من جاء بعده فإنه يرجع إليه في ذلك.

ثانياً: مؤلفاته:

إن العالم يعرف علمه من خلال ما تخرج على يديه من تلاميذ، ومن خلال ما كتبه من مصنفات تشهد لعلمه، والإمام الشهرستاني قد جمع بين الأمرين حيث خلف من بعده تلاميذ جهابذة لا يسعنا المقام لذكرهم هنا، كما ترك إرثاً من الكتب المصنفة في عدة علوم، وإن كان يغلب عليها الطابع العقدي الكلامي الجدلي، ومن تلك المؤلفات ما يلي:

1- "الملل والنحل": وهو كتابنا الذي بين يدينا، وهو كتاب في تاريخ الفرق والأديان والمذاهب، وقد اشتهر به الشهرستاني أكثر من غيره من كتبه، بل اقترن اسمه به، وهو من أهمِّ المؤلفات في بابه.

---

[133]- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مفاتيح الأسرار ومصابيح الأنوار، تح: محمد علي آذرشب، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط، طهران، ط1، 1429هـ - 2008م، ص3.

[134]- انظر: السحيباني، المرجع السابق، ص49-50.

[135]- السبكي، المصدر السابق نفسه.

[136]- السمعاني، المصدر السابق، ص160.

2- "نهاية الإقدام في علم الكلام": وعنوان الكتاب ينبئ عن مضمونه، ويعد أيضاً هذا الكتاب من أشهر مؤلفات الشهرستاني، وقد طبع بتحقيق المستشرق " ألفرد جيوم " سنة 1349هـ/1931م في لندن، وقدم له بمقدمة ترجم فيها حياة المؤلف، وقد نسب الكتاب إلى المؤلف كل من ترجم له[137].

3- "مصارعة الفلاسفة "[138]: وقد طبع الكتاب بتحقيق د. سهير محمد مختار[139].

4- "مجلس في الخلق والأمر": باللغة الفارسية، وقد طبع أكثر من مرة باللغة الفارسية، وموضوعه بحث وتفسير كلمتي الخلق والأمر[140].

5- "مفاتيح الإسرار ومصابيح الأبرار": وقد نسبه إليه عدد من المترجمين له، والكتاب في علم التفسير[141]، وهو مطبوع في طهران، وقد سبق نقل عبارة للشهرستاني منه آنفاً.

6- "المناهج في علم الكلام": وقد اتفق جمع من الباحثين والمترجمين على نسبة هذا الكتاب إلى المؤلف[142].

7- "تاريخ الحكماء": ويسمى بصوان الحكمة، أو طبقات الحكماء[143].

وهناك كتب ورسائل أخرى لم أذكرها، تنظر في مظانها، عند الباحثين الذين ترجموا للشهرستاني، مع بيان قيمتها العلمية[144].

---

[137]- السحيباني، المرجع السابق، ص76.

[138]- ابن خلكان، المصدر السابق نفسه.

[139]- المرجع السابق ص77.

[140]- المرجع نفسه.

[141]- المرجع نفسه، ص79.

[142]- المرجع نفسه، ص81.

[143] - المرجع نفسه، ص84.

[144]- المرجع نفسه، ص82-86، محمد حسيني أبو سعدة، الفكر النقدي عند الشهرستاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2003م، ص39- 47.

الفرع الثالث: عقيدته ومذهبه الفقهي:

أولاً: عقيدته:

لقد كان الشهرستاني – رحمه الله – على عقيدة المذهب الأشعري، ويدلُّ على ذلك ما يلي:

1- إن شيوخه وأساتذته[145] الذين كان لهم الأثر الأكبر في توجيهه في حياته العلمية كانوا أئمة لذلك المذهب، بل كانوا مدافعين حتى ولو بالقوة عن مذهب الأشعري[146].

2- إن كتابه الملل والنحل يدلُّ بوضوح على تأييده للمذهب الأشعري، بخلاف سائر المذاهب التي عرض آراءها، فقد سعى إلى تقرير أنه هو مذهب أهل السنة، وأنه هو مآل مذهب السلف[147].

3- يكاد يجمع المترجمون لحياة المؤلف (الشهرستاني) على ذلك، ولا يوجد قول مخالف ينفي أن يكون المؤلف أشعرياً[148]، بل صرح بعضهم بأنه أشعري العقيدة[149].

4- إن كتابه " نهاية الإقدام "، هو في جملته تقرير للمذهب الأشعري بأدلته وحججه ومناقشة الآراء المخالفة له والرد عليها، وإزالة الإلزامات والإشكالات عن المذهب، فالكتاب تضمن تقرير عقيدته وإثباتها، بخلاف كتابه الملل- الذي ألف قبله – فقد عرض فيه آراء الفرق والطوائف من غير تصريح بما يعتقده[150].

---

[145]- مثل أبي نصر القشيري، النحوي المتكلم الفقيه الشافعي، الأشعري، المتوفى سنة 514هـ ، (انظر: الذهبي، السير، المصدر السابق، ج19، ص425، ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص 207).

[146]- السحيباني، المرجع السابق، ص90.

[147]- الحموي، المصدر السابق، ص277.

[148]- انظر: المرجع السابق نفسه.

[149]- انظر: ابن خلكان، المصدر السابق نفسه.

[150]- انظر: المرجع السابق، ص91.

5- حين يعرض المؤلف آراء المذهب الأشعري غالباً ما يصدرها بقوله: نقول، قلنا، قولنا، قول الحق، وغير ذلك؛ بخلاف عرض آراء المذاهب المخالفة، فإنه يصدرها بقوله: قالوا، يقولون، قولهم، وغير ذلك[151].

ثانياً: مذهبه الفقهي:

أمَّا مذهبه الفقهي فالظاهر أنه كان على مذهب الشافعية، ويدل على هذا ما يلي:

1- أن الشهرستاني عدَّه بعض أصحاب كتب الطبقات ضمن طبقات رجال الشافعية[152].

2- بالنظر إلى شيوخه وأساتذته الذين تلقَّى عنهم العلم نلحظ أنهم من أتباع ذلك المذهب؛ بل من كبار رجاله[153].

3- إضافة إلى ما عرف عن المتكلمين عموماً ومتكلِّمي بلاد العجم خصوصاً انتحالهم أحد المذهبين الفقهيين: الحنفي أو الشافعي، والشهرستاني لـمَّا لم يَعُدَّه أحد من المؤرخين والمترجمين له ضمن علماء الحنفية، بقي أن يعد ضمن علماء الشافعية.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الملل والنحل للشهرستاني

الفرع الأول: توثيق الكتاب:

المقصود بتوثيق الكتاب: إثبات صحة نسبته إلى مؤلفه الإمام الشهرستاني، وأنه هو الذي صنفه، وكما هو معلوم؛ "فقد بلغ كتاب الملل والنحل حد الشهرة والاستفاضة، بحيث لا يعتري نسبته إلى الشهرستاني أدنى شكّ

---

[151]- انظر: السحيباني، المرجع السابق نفسه.

[152]- انظر: السبكي، المصدر السابق نفسه.

[153]- انظر: المرجع السابق، ص89.

أو تردُّدٍ، فكل من تحدث عن المؤلف أو ترجم له نسب إليه كتابه هذا، وكذلك من تحدث عن المؤلفات في تاريخ الأديان والفرق يشير إلى ذلك أيضاً، فالكتاب محل اتفاق بين جميع المؤرخين والمترجمين له"[154].

وإذا وصل الأمر في نسبة الكتاب إلى مؤلفه إلى هذا الحد من الشهرة والاستفاضة، وأجمع على ذلك العلماء والباحثون، بحيث لم نجد من شكك في نسبته إليه حتى عرف ذلك القاصي والداني، وصار الاسم مقترناً بالكتاب، فأظن أن هذا يغنينا عن مؤنة البحث والتحرّي وتتبع أقوال المؤرخين والمترجمين، وما قالوه في نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه الشهرستاني، فنسلم بذلك.

الفرع الثاني: شرح مصطلحات عنوان الكتاب:

عنوان الكتاب قصير يتكون من كلمتين – ظاهرتين– فقط هما:"الملل"و"النحل".

- **الملل**: جمع مِلة، " والملة بالكسر الشريعة أو الدين، كملة الإسلام، والنصرانية، واليهودية، وقيل هي معظم الدين وجملة ما يجيء به الرسل "[155]، "وهي اسم من أمليت الكتاب، ثم نُقلت إلى أصول الشرائع بالنظر إلى أنها يمليها النبي، والمصطلح يطلق على الملة الصحيحة الحقَّة، وعلى الملة الباطلة أيضاً، كما يقال الكفر ملة واحدة"[156]، أو ملل مختلفة.
- **النِحل**: هي جمع نِحلة، وهي الدعوى، انتحل فلان شعر فلان، أو قول فلان: إذا ادعى أنه قائله، وانتحله وتنحَّله: ادعاه لنفسه وهو لغيره[157].

---

[154]– السحيباني، المرجع السابق، ص201.

[155]– محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية، مصر، ط1، 1306هـ ، ج8، ص119.

[156]– المرجع السابق، ص202.

[157]– المصدر السابق، ص129.

فمدلول كلمة "نحلة" يعتمد على الكذب والادعاء (الانتحال) الذي ليس له أساس صحيح، النحل كلها باطلة من ناحية الإطلاق اللغوي، وهذا ما اختاره الشهرستاني في "الملل والنحل"، حيث قسَّم أهل العالم جملة حسب الآراء والمذاهب إلى قسمين:

1- أرباب الديانات والملل: مثل اليهود والنصارى والمسلمين.

2- أهل الأهواء والآراء (النحل): مثل الفلاسفة والدهرية والصابئة.[158]

في حين يرى غيره ممن كتب في هذا الباب أن النحل فيها حق وباطل[159]، أي: هناك نحل أهل الأهواء الباطلة، تقابلها نحلة أهل الحق الواحدة، كما توجد ملة الإسلام – الواحدة – في مقابلة الملل الأخرى.

الفرع الثالث: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل:

أوَّلاً: منهجه في تقسيم الكتاب وترتيبه:

إن من السمات البارزة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني اهتمامه بالترتيب والتبويب والتنظيم، فالمطلع على هذا الكتاب يأخذه العجب في حسن التنظيم وجودة الترتيب، حيث نظمه تنظيماً تدرجياً، يسهل للقارئ الوصول إلى مراده بكل يسر ووضوح، ومما يدل على ذلك، تقسيمه الكتاب على مناهج الحساب، حيث ذكر أنه اختار من طرق الحساب أحسنها وأحكمها[160]، والمقدمة الخامسة أفردها لبيان سبب ذلك[161]، وفي المقدمة الأولى

---

[158]- الشهرستاني، الملل، المصدر السابق، ص8.

[159]- أبو محمد علي بن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، (د ط)، 1405هـ، ج2، ص88.

[160]- السحيباني، المرجع السابق، ص279.

[161]- الشهرستاني، الملل، المصدر السابق، ص25-27.

اختار من أنواع التقاسيم لأهل العالم جملة، تقسيمَهم من حيث الآراء والمذاهب[162]، لأن ذلك يوافق الغرض من تأليف الكتاب وهو الحصر والاختصار[163].

فالمنهج الذي سار عليه في تقسيم الكتاب، والفرق الاسلامية بينه بنفسه، ولم يترك للقارئ استخراجه، بل أوضح طريقته التي سار عليها غاية الإيضاح، فذكر طريقته في تقسيم أهل العالم جملة، ومنهجه في تقسيم الفرق وأشار إلى ضابط تعدادها في المقدمتين الأولى والثانية[164].

أما منهجه في ترتيب الكتاب فمن حيث إيراد المذاهب والمقالات فإنه قد تبع منهجاً تاريخياً، إذ يعتمد على صاحب المقالة، لا المقالة نفسها في الترتيب، أي يجعل أصحاب المقالات أصولاً، ثم يورد مذاهبهم مسألة مسألة، وهذا أليق بباب الحساب وأضبط للأقسام[165]، وأمَّا الملل فقد رتبها حسب بعدها عن الاسلام، وليس حسب الظهور التاريخي[166].

أمَّا **طريقة تصنيف الكتاب:** فهي طريقة منهجية منظمة، حيث رتبه على طريقة والأبواب والفصول، فبعد المقدمات الخمس التي بين فيها منهجه العام في الكتاب؛ وضع الباب الأول، وهو خاص بالمسلمين[167]، وتحته سبعة فصول:

---

[162]- الشهرستاني، الملل، المصدر السابق نفسه.

[163]- السحيباني، المرجع السابق نفسه،

[164]- المصدر السابق، ص8- 9.

[165]- المرجع السابق، ص294.

[166]- المرجع نفسه.

[167]- الشهرستاني، الملل، المصدر السابق، ص31.

الفصل الأول منها: جعله للمعتزلة[168]، الفصل الثاني: للجبرية[169]، الفصل الثالث:للصفاتية[170](الأشعرية، المشبهة والكرامية)، الفصل الرابع: للخوارج والمرجئة والوعيدية[171]، الفصل الخامس: للمرجئة[172]، الفصل السادس: للشيعة[173]، والفصل السابع (الأخير):لأهل الفروع المختلفين في الأحكام الشرعية[174]، أمّا الأبوابالأخرى فجعل باباً لأهل الكتاب[175] (اليهود والنصارى)، وباباً لمن له شبهة كتاب[176] (المجوس والثنوية)، وباباً لأهل الأهواء والنحل[177]، وباباً للفلاسفة[178]، وباباً لآراء العرب في الجاهلية[179]، والباب الأخير لآراء الهند[180].

وبدؤه البابَ الأولَ بالمعتزلة، يدلُّ على أهمية هذه الطائفة عنده، ومدى اهتمام العلماء بها وتأثيرها في الفكر السائد في عصره.

ونسخة الكتاب التي اعتمدتها في هذا البحث، قد طبعتها دار الفكر للطباعة والنشر ببيروت- لبنان، بإشراف وتعديل: صدقي جميل العطار، وقد طبعت سنة 1428- 1429هـ، الموافق لـ 2008م، وتقع في 424 صفحة.

---

[168]- الشهرستاني، الملل، المصدر السابق، ص34.
[169]- المصدر نفسه، ص69.
[170]- المصدر نفسه، ص74.
[171]- المصدر نفسه، ص92.
[172]- المصدر نفسه، ص112.
[173]- المصدر نفسه، ص118.
[174]- المصدر نفسه، ص160.
[175]- المصدر نفسه، ص168.
[176]- المصدر نفسه، ص185.
[177]- المصدر نفسه، ص207.
[178]- المصدر نفسه، ص251.
[179]- المصدر نفسه، ص386.
[180]- المصدر نفسه، ص402.

ثانياً: منهجه في عرض الفرق الإسلامية إجمالاً والمعتزلة تفصيلاً:

1- منهجه في عرض الفرق الإسلامية إجمالاً:

الملاحظ أن منهج الشهرستاني في عرض الفرق؛ "يختلف في بعض جوانبه وتفصيلاته باختلاف الفرقة، مع اتفاق بعض الجوانب في الفرق جميعاً"[181].

فمن السمات المشتركة في منهجه هذا:

- الإيجاز والاختصار في حكاية الآراء، ونقل الروايات، والاقتصار على موطن الشاهد منها، دون سردها كاملة.
- العناية بتعريف بعض أسماء الفرق كالخوارج والمرجئة والشيعة، لذلك يرجع إليه الباحثون في الفرق والمذاهب العقدية، فينقلون التعاريف عنه.
- التعقيب على الآراء في بعض الفرق كآراء المعتزلة والشيعة وغيرها، فلم يقتصر على العرض فقط.
- ذكر ما يجمع الطائفة الواحدة من مسائل وآراء، قبل الخوض في تفصيل آراء فرقة منها، وهذا في بعض الطوائف: كالشيعة، والمعتزلة، وسيأتي مزيد بيان لهذا في المعتزلة — إن شاء الله-.
- الاقتصار – غالباً – في إيراد الآراء على ما تفردت به الطائفة، وتميزت عن غيرها، نحو الجبرية في مسائل أفعال العباد، والصفاتية في مسائل الصفات، والمرجئة في مسائل الإيمان...الخ.
- عند إيراد أدلة طائفة ما، فإنه يقدم الأدلة المقدمة لدى الطائفة نفسها، فالمعتزلة مثلاً الأدلة العقلية، والمشبهة الأدلة السمعية، وهكذا[182].

---

[181]- السحيباني، المرجع السابق، ص307.

[182]- المرجع نفسه، ص307- 308.

2- منهجه في عرض طائفة المعتزلة تفصيلاً:

في حديث الشهرستاني عن طائفة المعتزلة عرَّف بها عموماً، ثم عرَّف بكل فرقة متفرعة عنها، أما كلامه عنها على وجه العموم فهو كما يلي:

أ –أورد في مستهل الباب الأول – قبل فصل المعتزلة — بعض القضايا الاعتقادية التي خاض فيها المعتزلة، فقال: " **أهل الأصول المختلفون** في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل..."[183]، ثم ذكر تفسير المعتزلة للعدل فقال:

"وعلى مذهب أهل الاعتزال: العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة؛ وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة"[184]، وذكر تفسيرهم لبقية الأصول: التوحيد، والوعد، والوعيد، والسمع، والعقل، مع مقابلته بتفسير غيرهم من المتكلمين[185].

ب – فيالفصل الذي خصصه للمعتزلة، بدأ بذكر بعض الأسماء التي أطلقت عليهم، والملاحظ أنه يُسمِّي الفرقة بما ترتضيه لنفسها، فقد أطلق على هذه الفرقة اسم "المعتزلة"، وهذا الاسم يطلقه عليهم أيضاً خصومهم، وقد اشتهروا به أكثر من غيره من الأسماء[186].

وأورد لهم اسماً آخر ولقبين فقال: "ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية "[187].

---

[183]– الشهرستاني، الملل، المصدر السابق، ص32.

[184]– المصدر نفسه.

[185]– مثل الصفاتية، انظر: المصدر نفسه.

[186]– السحيباني، المرجع السابق، ص313 بتصرف.

[187]– المصدر السابق، ص34.

فأمَّا "أصحاب العدل والتوحيد" فهو اسم يفتخرون به، لأن العدل والتوحيد – بمفهومهم – من الأصول الخمسة التي يقوم عليها مذهبهم كما سبق بيانه في أسسهم، وكذلك لقب العدلية، لأنه نسبة إلى العدل.

ولم يطلق عليهم اسم "القدرية"، وإن كان يرى أنهم أولى به من غيرهم، فـ"هم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً، وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى"[188].

ج – أما منهجه في تعداد فرق المعتزلة فقد تمكن من حصر طوائفهم بعدد أقل مما ذكره غيره من مصنفي كتب المقالات، وذلك أنه ضم بعض الفرق إلى بعض، وعدَّها فرقة واحدة، وقد بلغت طوائف المعتزلة لديه اثنتي عشرة طائفة[189]، وكان منهجه في ترتيبها حسب تقدُّمها التاريخي، ولم يكن لانقسام مدرسة الاعتزال أثر في تعداد، أو ترتيب الطوائف[190].

د – وأما منهجه في عرض آراء المعتزلة، فأهم معالمه ما يلي:

- ذكر ما يجمعهم من آراء، وما يعمهم من اعتقاد، وذلك قبل الخوض في ذكر ما تفرد كل منهم من آراء.

وقد حصر ما يجمع المعتزلة في أربعة أمور هي:

- نفي الصفات عن الله تعالى، وأن أخص وصف له القدم، وأن كلام الله محدث، مع نفي الرؤية والتشبيه، ويسمون ذلك "توحيداً ".
- نسبة أفعال العباد لأنفسهم وأنهم هم الخالقون لها، ونفي إضافتها إلى الله سبحانه، ويوجبون على الله فعل الصلاح والخير للعباد، ويسمون ذلك "عدلاً ".

---

[188]– الشهرستاني، الملل، المصدر السابق نفسه.

[189]– هي: الواصلية، الهذيلية، النظامية، الخابطية والحدثية، البشرية، المعمرية، المردارية، الثمامية، الهشامية، الجاحظية، الخياطية والكعبية، والجبائية والبهشمية. (انظر: المصدر نفسه، ص36– 62).

[190]– السحيباني، المرجع السابق، ص325.

- وجوب استحقاق الثواب للمؤمن، والخلود في النار لصاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة، ويسمون ذلك "وعداً ووعيداً ".
- السمع والعقل، فأصول المعرفة وشكر النعمة تجب قبل السمع، وكذا الحسن والقبح يعرفان بالعقل وجوباً مع اعتقاد الحسن واجتناب القبيح[191].

المطلب الثالث: عرض الشهرستاني لمذهب المعتزلة في العصر الأموي في (الملل والنحل)

ما سبق من كلام عن المعتزلة في المبحث الأول، إنما هو بيان عام مجمل، تقتضيه الصناعة المنهجية للبحث العلمي، التي تفرض على الباحث تحديد مفاهيم البحث وتوضيح مصطلحاته قبل الخوض في صلب موضوع البحث، وهذا ما حصل من تعريف بمذهب المعتزلة بغض النظر عن فترته الزمنية الزمنية، أقول هذا حتى لا يتوهم الوقوع في التكرار عندما آتي إلى الحديث عن المعتزلة كما عرضها الشهرستاني- في فترة نشوئها - فيالمطلب الحالي من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: تعريف الشهرستاني بالمعتزلة الأوائل (الواصلية):

لقد بدأ الشهرستاني حديثه عن المعتزلة بالكلام عنهم وعن اعتقاداتهم إجمالاً، وما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه، من غير تحديد للفترة الزمنية التي ظهرت فيها تلك الاعتقادات، ولا لأئمتهم القائلين بها[192]،ثم شرع في ذكر ما يختص بطائفة طائفة من المقالة التي تميزت بها عن أصحابها[193].

---

[191]- انظر: الشهرستاني، الملل، المصدر السابق، ص34- 36.

[192]- انظر: المصدر نفسه.

[193]- المصدر نفسه.

وأول طائفة ذكرها هي الواصلية، ثم عرَّفها بقوله:

" أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذاً للحسن البصري، يقرأ عليه العلوم والأخبار، وكانا في أيام عبد الملك بن مروان، وهشام بن عبد الملك ... ويقال لهم الواصلية "[194].

من خلال هذه الفقرة نستنتج أن طائفة الواصلية – وهي أول فرق المعتزلة –كانت في عصر بني أمية من جهتين:

الاولى: نسبة الطائفة إلى واصل بن عطاء، وهو قد عاش في فترة الدولة الأموية، حيث توفي سنة 131هـ/749م.

الثانية: قول الشهرستاني بأن واصل بن عطاء كان تلميذاً للحسن البصري، وهو أيضاً عاصر الأمويين، توفي سنة 110هـ/728م، وقد سبقت ترجمته مع واصل بن عطاء[195].

الفرع الثاني: أفكار المعتزلة (الواصلية) في العصر الأموي:

من المعلوم أن المذاهب في بدايتها تكون في مرحلة التأسيس، وبالتالي تكون أفكارها غير نضيجة ولا مكتملة، ولكنها تعتبر نواة تقوم عليها مبادئ ذلك المذهب، وهذا ما ينطبق تماماً على المعتزلة، حيث لم يكن مصطلح الأصول الخمسة قد ظهر في عهد الواصلية، ولكن وجدت جملة من الأفكار قام عليها الاعتزال فيما بعد، سماها الشهرستاني "قواعد"، فقال: "واعتزالهم يقوم على أربع قواعد:

القاعدة الأولى: القول بنفي صفات الباري تعالى؛ من العلم والقدرة والإرادة والحياة، وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة، وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين أزليين، قال: ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين"[196].

---

[194]– الشهرستاني، الملل، المصدر السابق ص36.

[195]– انظر: ص30 من هذا البحث.

[196]– المصدر نفسه.

والظاهر أن هذه القاعدة هي التي اصطلح عليها المعتزلة فيما بعد بالأصل الأول، وهو التوحيد، وذكر الشهرستاني أن السلف كان يخالفهم في ذلك إذ وجدوا الصفات مذكورة في الكتاب والسنة[197].

ثم قال: "**القاعدة الثانية**: القول بالقدر: وإنما سلكوا في ذلك مسلك معبد الجهني؛ وغيلان الدمشقي، وقرر واصل بن عطاء هذه القاعدة أكثر مما كان يقرر قاعدة الصفات"[198].

هذه القاعدة صات فيما بعد الأصل الثاني وهو العدل، وحسب الشهرستاني فإن واصلاً كان مهتماً بهذه القاعدة أكثر من غيرها حتى من القاعدة الأولى، ربما لأن القدر ينبني عليه الاعتقاد كله.

ثم أورد الشهرستاني حجة واصل في نفيه للقدر، وهي قائمة في أساسها على النظر العقلي، فأثبت أن العبد هو الفاعل للخير والشر، والرب تعالى أقدره على ذلك كله، قال: ويستحيل أن يخاطب العبد بـ"افعل" وهو لا يمكنه أن يفعل، وهو لا يحس من نفسه الاقتدار والفعل، ومن أنكره فقد أنكر الضرورة[199].

ثم قال: "**القاعدة الثالثة**: القول بالمنزلة بين المنزلتين"[200]، وذكر سبب ابتداع هذه المقالة، وسيأتي ذكر قصة ذلك في الفرع الموالي- إن شاء الله-، ومعنى القاعدة أن صاحب الكبيرة هو بين منزلتي الإيمان والكفر، (لا مؤمن ولا كافر)[201].

ثم بين المؤلف[202] علة ذلك فقال: "ووجه تقريره أنه قال: إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمناً، وهو اسم مدح، والفاسق لم يستجمع خصال الخير وما استحق اسم المدح، فلا يسمى مؤمناً، وليس هو بكافر مطلقاً أيضاً، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه، لا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا

---

[197]- الشهرستاني، الملل، المصدر السابق ص36.

[198]- المصدر نفسه، ص36-37.

[199]- المصدر نفسه، ص37.

[200]- المصدر نفسه

[201]- المصدر نفسه، ص38.

[202]- هو: الشهرستاني.

على كبيرة من غير توبة، فهو من أهل النار خالد فيها، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار"[203].

وختم قواعدهم بالقاعدة الأخيرة قائلاً: "**القاعدة الرابعة:** قوله في الفريقين من أصحاب الجمل، وأصحاب صفين إن أحدهما مخطئ لا بعينه، وكذلك قوله في عثمان وقاتليه وخاذليه، قال: إن أحد الفريقين فاسق لا محالة، لكن لا بعينه، وقد عرفت قوله في الفاسق، وأقل درجات الفريقين انه لا يقبل شهادتهما كما لا تقبل شهادة المتلاعنين، فلا يجوز قبول شهادة علي، وطلحة والزبير على وباقة بقل، وجوَّز أن يكون عثمان وعلي على الخطأ"[204].

هذه القاعدة ليست من الأصول الخمسة الاعتزالية، وإن كان لها علاقة بأصل المنزلة بين المنزلتين علاقة الأثر بالمؤثر، من حيث إن واصل بن عطاء والمعتزلة يرون أن أصحاب الجمل (معركة الجمل بين علي وطلحة والزبير)، وأصحاب صفين (حرب صفين بين علي ومعاوية) قد وقعوا في كبيرة، وصاحب الكبيرة فاسق، والفاسق لا تقبل شهادته.

والكلام فيما جرى بين الصحابة والموقف من الخلفاء الراشدين الناس في ذلك بين إفراط وتفريط واعتدال.

ثم علَّق على هذا الكلام مستعظماً له: "هذا قوله وهو رئيس المعتزلة ومبدأ الطريقة في أعلام الصحابة ، وأئمة العترة"[205]، أي: إذا كان رئيس المعتزلة ومؤسسها يقول هذا الكلام فماذا عن غير من أتباعه؟

علماً أن قول الإمام (المؤسس) يكون دائماً معظَّماً عند أتباعه.

---

[203]- الشهرستاني، الملل، المصدر السابق ص37- 38.

[204]- المصدر نفسه، ص38.

[205]- المصدر نفسه.

الفرع الثالث: نشأة المعتزلة في العصر الأموي وسبب ذلك:

من خلال تتبع ما ورد عن ظهور مقالة المعتزلة يظهر أنها برزت إلى عالم الوجود العلني في زمن الحسن البصري الذي عاصر الأمويين مع نهاية القرن الأول ومطلع القرن الثاني، وإن كانت جذور الاعتزال تمتد إلى ما قبل ذلك، ويدلُّ على هذا ما أورده المؤلف بقوله: "ورأيت رسالة نسبت إلى الحسن البصري كتبها إلى عبد الملك بن مروان وقد سأله عن القول بالقدر والجبر، فأجابه فيها بما يوافق مذهب القدرية، ... ولعلَّها لواصل بن عطاء، فما كان الحسن ممن يخالف السلف في أن القدر خيره وشره من الله تعالى، فإن هذه الكلمات كالمجمع عليها عندهم"[206].

ومما يؤيد عدم صحة نسبتها إلى الحسن البصري، هو موقف حكام بني أمية منه، حيث لم يعرف عنهم أنهم اتهموه بشيء من أقوال القدرية أو غيرهم من الفرق الأخرى، أو عاقبوه على ذلك، مع ما عرف به الأمويون من الصرامة وعدم التسامح مع من يحدث مقالات جديدة، كما صنعوا بمعبد الجهني والجعد بن درهم وغيرهما.

وسواء كانت الرسالة للحسن البصري أو لواصل بن عطاء، فإن المهم أنها كانت في زمن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الذي حكم ما بين عامي(65 و86هـ)، أي أن بعض أفكار المعتزلة كانت موجودة في تلك الفترة المبكرة لكن لا باسم مذهب المعتزلة، وإنما باسم القدرية.

وحسب الإمام الشهرستاني فإن نشأة المعتزلة اقترنت بسبب تسميتها بذلك، ومع تعدد الروايات واختلاف الآراء فيها[207]، فإن المؤلف أعرض عن الإشارة إلى ذلك الاختلاف، واقتصر على إحدى الروايات، ضارباً صفحاً عن بقيتها... ولعل ذلك طلباً للاختصار والإيجاز، وقد أرجع سبب الإطلاق إلى اعتزال واصل بن عطاء حلقة

---

[206]-الشهرستاني، الملل، المصدر السابق ص38.

[207]- انظر: البلخي، المصدر السابق، ص12-25.

الحسن البصري، بسبب قوله بالمنزلة بين المنزلتين، وقد تفرد المؤلف بذكر تفاصيل تلك الواقعة...إذ لم يشاركه أحد بذكر تلك التفاصيل...إلا من نقل عنه، أو اقتصر على الإشارة إليها[208].

وهذا نص الرواية كما حكاها:

"والسبب فيه انه دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة؛ وهم وعيدية الخوارج.

وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟

فتفكَّر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر"[209].

فهنا أفصح واصل بن عطاء عن رأيه في مرتكب الكبيرة، الذي ربما كان فكرة تراوده من قبل، وليست وليدة تلك اللحظة لم يَبُح بها للناس، فلما جاء هذا الرجل يسأل عن مرتكب الكبيرة، وجد الفرصة مواتية للتصريح بما يعتقده في أصحاب الكبائر، ظناً منه أنه جاء بحل وسط بين الخوارج والمرجئة، وإلى هنا لم يكلمه الحسن البصري، حتى قام من المجلس، واعتزل حلقة الحسن منفرداً بأصحابه، فاعتُبروا لأجل ذلك معتزلة، يقول الشهرستاني في ذلك:

---

[208]- السحيباني، المرجع السابق، ص314-315.

[209]- الشهرستاني، الملل، المصدر السابق، ص37-38.

"ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسُمّي هو وأصحابه معتزلة"[210].

وهذا الاعتزال الجسدي كان نتيجة الاعتزال الفكري العقائدي، فإنه كان يعلم ما يقوله الحسن البصري وغيره من علماء السلف، فاعتزل القول أولاً ثم اعتزل المجلس تعبيراً عن رفضه لقول الحسن.

ومن نتائج تقريره لمعتقده الجديد آنذاك؛ أن تبعه شخص صار فيما بعد من رؤوس المعتزلة، بل يعد من المؤسسين، هو عمرو بن عبيد[211]، يقول المؤلف: "وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد بعد أن كان موافقاً له في القدر، وإنكار الصفات"[212].

وبناءً على سبب التسمية فإن المؤلف يرى أن نشأتهم كانت في زمن الحسن البصري، وهذا خلاف ما يراه أصحاب الفرقة نفسها إذ ينسبون مذهبهم إلى السلف، بل يسندون ذلك إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويدعون أن كبار الصحابة أمثال: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عمر هم من الطبقة الأولى من رجالهم[213]،

و لا يخفى بطلان هذه الدعوى وتهافتها[214]، في حين يعدون واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من الطبق الرابعة من طبقات المعتزلة[215]، والمفروض عدهما من الطبقة الأولى باعتبارهما مؤسسي المذهب، أو من الطبق الثانية، وعد شيوخهما من القدرية هم الطبقة الأولى كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي غيرهما، لتأثرهما بهم.

---

[210]- الشهرستاني، الملل، المصدر السابق، ص38.

[211]- هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب، البصري الزاهد، العابد، المعتزلي، القدري، صحب الحسن ثم خالفه واعتزل حلقته، فلذا قيل المعتزلي، ولد سنة 80هـ/699م، ومات في طريق مكة سنة 142هـ/759م، ودفن بمران ورثاه أبو جعفر المنصور. (انظر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د ط)، (د ت)،ج1، ص149).

[212]- المصدر نفسه.

[213]- البلخي، المصدر السابق، ص214.

[214]- السحيباني، المرجع السابق، ص315- 316.

[215]- المصدر السابق، ص229.

والشهرستاني قد جعل المعتزلة في عصر الأمويين فرقة واحدة هي الواصلية، وعدَّها الفرقة الأولى من فرق المعتزلة، التي رتبها ترتيباً تاريخياً حسب الظهور، والفرقة الثانية عنده هي الهذيلية[216].

وصنَّف عمرو بنَ عبيد ضمن فرقة الواصلية، باعتبار أنه يقول بأقوال واصل نفسها، عدا اختلافهما في الحكم على الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين، فواصل بن عطاء كما سبق بيانه يقول إن أحد الفريقين فاسق لا بعينه، ورد شهادة شهادتها، أمَّا عمرو بن عبيد فزاد عليه تفسيق الفريقين ورد شهادتهما معاً، والحكم عليهما بالنار، وفي هذا يقول الشهرستاني: "ووافقه عمرو بن عبيد على مذهبه، وزاد عليه في تفسيق أحد الفريقين لابعينه بأن قال: لو شهد رجلان من أحد الفريقين مثل علي ورجل من عسكره، أو طلحة والزبير لم تقبل شهادتهما، وفيه تفسيق الفريقين وكونهما من أهل النار"[217].

فلم ينسب المؤلف إلى عمرو بن عبيد فرقة خاصة، أما غيره ممن كتب في الفرق فقد جعل عمرو بن عبيد زعيم فرقة مستقلة تسمى العمروية، كما فعل صاحب كتاب الفرق بين الفرق، حيث فصل فرق المعتزلة، وبدأ بالواصلية وذكر آراءهم، وثنَّى بالعمروية فقال:

" ذكر العمروية منهم:

هؤلاء أتباع عمرو بن عبيد بن لباب مولى بني تميم،... وقد شارك عمرو واصلاً في بدعة القدر، وفي ضلالة قولهما بالمنزلة بين المنزلتين، وفي ردهما شهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل والآخر من أصحاب علي، وزاد عمرو على واصل في هذه البدعة فقال بفسق كلتا الفرقتين المتقاتلتين يوم الجمل، وذلك أن واصلاً إنما رد شهادة رجلين

---

[216]- أصحاب أبي الهذيل العلاف. (انظر: الشهرستاني، الملل، المصدر السابق، ص38).

[217]- المصدر نفسه.

أحدهما من أصحاب الجمل والأخر من أصحاب علي – رضي الله عنه–، وقبل شهادة رجلين كلاهما من أحد الفريقين، وزعم أن شهادتهما مردودة وإن كانا من فريق واحد؛ لأنه قال بفسق الفريقين جميعاً "[218] .

المطلب الرابع: العلاقة بين المعتزلة والأمويين:

لم يبين الشهرستاني علاقة المعتزلة بالأمويين وموقف الأمويين من ظهور المعتزلة بمقالتهم الجديدة، وإن كان قد صرَّح أن واصل بن عطاء قد كان في أيام عبد الملك بن مروان، وهشام بن عبد الملك، وفي الحقيقة فإنه عاصر عشرة من خلفاء بني أمية، ابتداء من عبد الملك إلى آخرهم مروان بن محمد (مروان الجعدي)، لأنه توفي سنة 131هـ/749م.

وقد نشأ الاعتزال فكراً قائماً على النظر العقلي مع بداية القرن الثاني الهجري في البصرة في أواخر العصر الأموي، كاستمرار لموقف القدرية الأوائل وجدلهم حول حرية الإرادة وصفات الله جل وعلا[219].

والمعروف عن الأمويين التزامهم بعقيدة السلف ومحاربتهم للأقوال المحدثة، لذلك لم يؤيد الخلفاء الأمويون في الجملة آراء المعتزلة، باستثناء بعضهم، فقد كان المعتزلة مضطهدين على أيدي خلفاء بني أمية، ولهذا فقد كانوا يكرهون الأمويين كرهاً شديداً لرفضهم لمذهبهم واعتقادهم في القدر، ولم يرضوا عن أحد من بني أمية كما رضوا عن يزيد بن الوليد لأنه كان يعتقد مذهب المعتزلة[220]، وذلك أن القدرية (المعتزلة) حاولوا الالتفاف يزيد بن الوليد بن عبد الملك، واستطاعوا أن يؤثروا فيه، فما إن وصل إلى الخلافة حتى دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه، ثم إنه لم يزل في بدعته حتى اعتقد أصول المعتزلة "[221] وفصَّل صاحب كتاب مروج الذهب معتقده الاعتزالي

---

[218]– عبد القاهر البغدادي، المصدر السابق، ص125.

[219]– الضويحي، المرجع السابق، ص47.

[220]– أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، (د ت)، ج3، ص92.

[221]– الحفظي، المرجع السابق، ص254-255.

فقال: " وكان – أي يزيد بن الوليد – يذهب إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليه في الأصول الخمسة من التوحيد، والعدل، والوعيد، والأسماء والأحكام – وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين – والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "[222].

وقد كان تأثير القدرية (المعتزلة) على الوليد قوياً حتى أصبحوا يتدخلون في زمنه في الشؤون السياسية تدخلاً فعلياً، حتى إنهم أشاروا عليه باختيار ولاة عهد ممن كانوا على شاكلته[223].

وبناءً على أن يزيد بن الوليد كان يعتقد مذهبهم ويدين به، فإنهم فضَّلوه في الديانة على الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى–[224].

وظل الموقف العدائي بين المعتزلة والأمويين على أشده حتى سقوط الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية على أنقاضها[225]، باستثناء الخليفة مروان بن محمد الذي تأثر بالجعد بن درهم مؤسس مذهب الجهمية، باعتباره كان شيخاً للجهم بن صفوان، فلقب بمروان الجعدي، حيث كان الجعد مؤدباً له فنسب إليه، ومعلوم أن هناك تقارباً بين الجهمية أتباع الجعد والجهم وبين المعتزلة، وقد يطلق على المعتزلة لقب الجهمية، " ولكن لما كانت خلافة مروان مليئة بالفتن انشغل عن نشر مذهب المعتزلة "[226].

والخلاصة أن مذهب المعتزلة في رأي الشهرستاني قد تأسّس في العهود الأخيرة من العصر الأموي، وبالضبط في زمان الحسن البصري؛ الذي أطلق عليهم اسم المعتزلة، وشاع هذا الاسم وانتشر بعده ورضي به أصحابه لما لم يجدوا مناصاً منه، بل صاروا يفضلونه ويفتخرون به.

---

[222] أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د ط)، 1402هـ – 1982م، ج3، ص234.

[223] – الحفظي، المرجع السابق، ص255 .

[224] – المصدر السابق، ص239.

[225] – الضويحي، المرجع السابق، ص48.

[226] – الحفظي، المرجع السابق نفسه.

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذا العرض المختصر لموضوع المعتزلة في العصر الأموي عند الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

- الدولة الأموية قامت بعد تنازل الحسن بن علي لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم جميعاً عن الخلافة، فبدأ بذلك عهد جديد، وانتقال من عهد الخلافة الراشدة إلى عهد الملك، وظهر ذلك بعد أن عهد معاوية بالخلافة من بعده لابنه يزيد، فصار الحكم بذلك وراثياً في البيت الأموي.
- شهد العصر الأموي في جانبه السياسي عدة أحداث داخلياً وخارجياً؛ أمَّا على الصعيد الداخلي فوقعت عدة ثورات وحروب استهدفت القضاء على حكم الأمويين، كخروج الحسين، وثورة عبد الله بن الزبير، وثورات الخوارج كثورة ابن الأشعث، وثورات البربر الصفرية في المغرب، وثورة المختار الشيعي الكذاب، لكن هذه الثورات كلها فشلت أمام قوة وحنكة الأمويين كعبد الملك بن مروان، وإن كانت عاملاً من عوامل ضعفها، وأما خارجياً؛ فقد خاضت الدولة الأموية حروباً كثيرة ضد أمم مختلفة شرقاً وغرباً، فتوسعت الدولة وفتحت مناطق شاسعة خاصة في عهد الوليد وأخيه هشام ابني عبد الملك.
- أمَّا ما يتعلق بالجانب الفكري العقدي، فقد وجدت في العصر الأموي-في العهد الأخير منه- عدة تيارات فكرية ومذاهب عقائدية وكلامية، فإلى جانب مذهب أئمة السلف، وجد مذهب الخوارج ومذهب الشيعة، وهما مذهبان سياسيان في الأصل، إذ تمخضا عن أحداث الفتنة الكبرى وتبعاتها كمعركة الجمل وصفين وما اتصل بهما، ثم تطوَّرا في العصر الأموي وصارا مذهبين فكريين لهما أصولهما العقائدية، ووجد مذهب المرجئة الذي نشأ نقيضاً لمذهب الخوارج، وظهر أيضاً مذهب غلاة القدرية (نفاة العلم)، ومذهب الجهمية، ومؤسّسُه الأول هو الجعد بن درهم، وتبعه الجهم بن صفوان، ومذهب الجهمية يقوم على الجبر- فالجبرية مناقضة للقدرية -، وعلى الإرجاء في مقابلة الخوارج، ثم أحدث الجهمية القول بنفي الصفات، وهذه المذاهب كلها مذاهب فكرية محضة، وسبب نشأتها

هو الأفكار الموروثة التي تسربت إلى أذهان بعض الناس، والتي تلقوها عن بعض أصحاب الديانات الأخرى غير الإسلام، نظراً للاحتكاك الذي حصل بعد توسع حركة الفتوحات.

- لقد كان لذلك الواقع السياسيّ والفكريّ أثره في ظهور مذهب المعتزلة، حيث أراد واصل بن عطاء المجيء برأي وسط بين اتجاهي الخوارج والمرجئة في حكم مرتكب الكبيرة، فأحدث القول بالمنزلة بين المنزلتين، واعتزل مجلس الحسن البصري، فسمي هو وأصحابه معتزلة حسبما قاله الشهرستاني.
- يعتبر العصر الأموي المتأخر عهد النشأة للمعتزلة، فقد مر الاعتزال بمرحلتين: مرحلة القدرية الأوائل وهم نفاة العلم، ومرحلة القدرية المتأخرين الذين ورثوا الأوائل، وهم نفاة الخلق والمشيئة، وصار يطلق عليهم "**معتزلة**"، علماً أن المعتزلة تأثروا أيضاً بالجهمية في نفي الصفات، وبالخوارج في حكم مرتكب الكبيرة، إلا أنهم خالفوا الجميع في تخفيف الحكم والموقف، حيث خففوا التعطيل (نفي الصفات)، وخففوا القدر(نفي الخلق)، كما خففوا حكم الفاسق إذ لم يكفروه في الدنيا، ولكن يخلدونه في النار في الآخرة.
- لم يكن مذهب المعتزلة في تلك الفترة نضيجاً ولا مكتملاً، فمن حيث الاصطلاح؛ لم يكن مصطلح الأصول الخمسة قد ظهر، ومن حيث الأفكار والمبادئ، ظهر منها ثلاثة وهي: التوحيد (نفي الصفات)، العدل (نفي القدر)، والمنزلة بين المنزلتين، وأما من حيث المنهج والوسائل فكانت خالية من الأساليب الكلامية والتعقيدات الفلسفية، لأنه لم تكن كتب الفلاسفة قد ترجمت وانتشرت بعدُ.
- تعتبر "المنزلة بين المنزلتين" المسألة الأولى لدى المعتزلة من حيث الظهور والنشأة المستقلة، وأما من حيث الوجود الذهني كفكرة، فقد سبقتها مسألة القدر، ومع ذلك فهي متأخرة عن التوحيد والعدل (القدر) في ترتيب الأصول الخمسة، نظراً لأهميتهما.

- كان مذهب المعتزلة في بدايته معزولاً ومضطهداً من قبل الحكام الأمويين، إلى أن جاء "يزيد بن الوليد" الذي اعتنق مذهب الاعتزال، و"مروان بن محمد" الذي تأثر بمؤدبه الجعد بن درهم فمال إلى الاعتزال، ولكن لم ينتشر الاعتزال بين العامة نظراً لغرابة مبادئه عن الإسلام والفطر، ولتصدي علماء السلف لأصحابه وتحذيرهم منه.
- المذاهب العقدية تبدأ كفكرة، ثم تتطور تلك الفكرة وتصير رأياً قائماً بذاته، ثم تصير مدرسة لها أسسها ومبادئها الخاصة بها، وهذا ما حصل لمذهب المعتزلة.
- يعتبر كتاب "الملل والنحل" للإمام الشهرستاني من أهم المصادر التي أرَّخت للمذاهب والفرق، لأنه متقدِّمٌ وسهل العبارة، ولأن صاحبه واسع الاطلاع، دقيق في النقل، مجيد في الطَّرح، ويتحرى الصحة في الأقوال وقوة الدليل، ولكن هذا في الجملة.
- تعد المعتزلة من أهم الطوائف الإسلامية وأقدم الفرق الكلامية، والتي كان لها أثر واضح في التاريخ الإسلامي، ولذلك بدأ الشهرستاني بها حينما عدَّد الطوائف الاسلامية وذكر مذاهبها.

الفهارس

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو سعدة محمد حسيني ، الفكر النقدي عند الشهرستاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2003م.
2. الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل ، الإبانة عن أصول الديانة، تح: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، مصر، ط1، 1397هـ - 1977م.
3. - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1369هـ - 1950م ج1، ص167.
4. أمين أحمد ، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، (د ت)،ج3.
5. البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط1 ، 1422هـ ،ج3.
6. البغدادي أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج11.
7. البغدادي عبد القاهر بن طاهرين محمد، الفرق بين الفرق، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د ط)، 1428هـ-2007م.
8. البلخي أبو القاسم، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تح: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، ط2، 1406هـ- 1986م.
9. ابن أبي العز علي بن محمد الدمشقي الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د ط)، (د ت).
10. ابن الأثير أبو الحسين علي بن أبي الكرم محمد ، الكامل في التاريخ، تح: مجموعة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط3، 1400هـ- 1980م، ج4.
11. ابن حزم أبو محمد علي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، (د ط)، 1405هـ، ج2.
12. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط3، 1427هـ - 2006م،ج1، ج2،ج3.
13. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج4.

14. ابن العربي أبو بكر بن محمد ، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تح: مصطفى أبو المعاطي، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1429هـ - 2008م.
15. ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م، ج1.
16. ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تح: الحساني حسن عبد الله، مكتبة دار التراث - القاهرة، (د ط)، (د ت).
17. ابن كثير عماد الدين أبا الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، تح: أبو صهيب محمد بن سامح، دار ابن الجوزي- القاهرة، ط1، 1431هـ - 2010م، ج7.
18. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، رسائل الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، 1384هـ-1964م.
19. جلي أحمد محمد، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، السعودية، ط1، 1406هـ - 1986م.
20. حسين أبو لبابة ، موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، دار اللواء، الرياض، ط2، 1407هـ/ 1987م.
21. الحفظي عبد اللطيف بن عبد القادر، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 1421هـ - 2000م.
22. الحموي ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م، ج1.
23. الخميس عثمان بن محمد، حقبة من التاريخ مابين وفاة النبي(صلى الله عليه وسلم) إلى مقتل الحسين سنة 61هـ، دار عباد الرحمن- القاهرة، ط1، 1432هـ- 2011م.
24. الخياط أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد ، الانتصار، تح: د. نيبرج، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1344هـ - 1925م.
25. الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود ، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، مكتبة الاسكندرية ، مصر، (د ط)، (د ت).
26. الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج4.
27. - العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (دط)، (د ت)،ج1.
28. - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، (د ط)، (د ت) ج2.

29. – سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م، ج4، ج6.
30. الزبيدي محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية، مصر، ط1، 1306هـ ، ج8.
31. الزركلي خير الدين ، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1406هـ – 1986م، ج2.
32. السبكي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د ط)، (د ت)،ج4.
33. السحيباني محمد بن ناصر ، منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، عرض وتقويم، دار الوطن، الرياض، (د ط)، (د ت).
34. السمعاني أبو سعد عبدالكريم، التحبير في معجم الكبير، تح: منيرة ناجي سالم، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1395هـ، ج2.
35. الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، مفاتيح الأسرار ومصابيح الأنوار، تح: محمد علي آذرشب، مركز البحوث والدراسات للتراث المخطوط، طهران، ط1، 1429هـ – 2008م.
36. – الملل والنحل، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت– لبنان، (د ط)، 1428– 1429 هـ – 2008م.
37. الضويحي علي بن سعد بن صالح ، آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً، مكتبة الرشد، الرياض، ط3، 1421هـ/ 2000م.
38. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1969م، ج4.
39. طقوش محمد سهيل ، تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت– لبنان، ط7، 1431هـ – 2010م.
40. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، لسان الميزان، تح: عبد الفتاح أبوغدة، دارا لبشائر الإسلامية، بيروت– لبنان، ط1، 1423هـ – 2002م.
41. – تهذيب التهذيب، تح: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة– بيروت، (د ط)، (د ت)، ج4.
42. العش يوسف ، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، ط2، 1406هـ–1985م.
43. الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت– لبنان، (د ط)، 1398هـ – 1978م، ج4.
44. القحطاني شاهرة بنت حسين، طريقة القرآن الكريم في تثبيت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر (رسالة ماجستير)، جامعة الملك خالد، السعودية، 1429–1430هـ /2008– 2009م.

45. محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ط2، 1406هـ- 1985م.

46. المحمود عبد الرحمن بن صالح، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ط2، 1418هـ -1997م.

47. المراكشي ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س.كولان و إ. ليقى بروفنسال، دار الثقافة- بيروت، ط2، 1400هـ - 1980م، ج2.

48. المزي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1400 – 1980، ج32.

49. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د ط)،1402 هـ - 1982م، ج3.

50. المعتق عواد عبد الله محمد ، موقف ابن القيم من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والصوفية، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط1، 1408هـ ، ج1.

51. – المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1416هـ - 1995م.

52. النيسابوري أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح، تح: فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج1.

53. الهمداني القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة – القاهرة، ط1، 1384هـ - 1965م.

54. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، تاريخ اليعقوبي، مطبع بريل، مدينة ليدن، (د ط)، 1883م، ج2.

فهرس الموضوعات

المحتويات	
شكر وقدير	
إهداء	
المقدمة.....	أ
المبحث التمهيدي: لمحات عن الدولة الأموية	11
المطلب الأوّل: الدَّولة الأموية سياسيًّا.....	11
الفرع الأول: قيام الدولة الأموية.....	11
الفرع الثاني: خلفاء بني أمية.....	13
المطلب الثاني: الدولة الأموية فكريًّا	18
المبحث الأول: مفاهيم عن المعتزلة	28
المطلب الأول: التعريف بالمعتزلة.....	28
الفرع الأول: التعريف اللغوي.....	28
الفرع الثاني: التعريف الاصطلاحي.....	29
المطلب الثاني: عوامل ظهور المعتزلة.....	29
المطلب الثالث: أسس مذهب المعتزلة.....	34
المبحث الثاني: مذهب المعتزلة في العصر الأموي كما قرّره الشهرستاني في (الملل والنحل)	42
المطلب الأول: التعريف بالشهرستاني.....	42
الفرع الأول: حياته الشخصية.....	42
الفرع الثاني: حياته العلمية.....	44
الفرع الثالث: عقيدته ومذهبه الفقهي.....	47
المطلب الثاني: التعريف بكتاب الملل والنحل للشهرستاني.....	48
الفرع الأول: توثيق الكتاب.....	48
الفرع الثاني: شرح مصطلحات عنوان الكتاب:	49
الفرع الثالث: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل.....	50
المطلب الثالث: عرض الشهرستاني لمذهب المعتزلة في العصر الأموي في (الملل والنحل)	56

الفرع الأول: تعريف الشهرستاني بالمعتزلة الأوائل (الواصلية):.....	56
الفرع الثاني: أفكار المعتزلة (الواصلية) في العصر الأموي.....	57
الفرع الثالث: نشأة المعتزلة في العصر الأموي وسبب ذلك.....	60
المطلب الرابع: العلاقة بين المعتزلة والأمويين.....	64
الخاتمة.....	67
الفهارس.....	70
قائمة المصادر والمراجع	71
فهرس الموضوعات.....	75
ملخص البحث.....	77

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، أمر بالاعتصام بحبله، ونهى عن التفرق بين المسلمين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث بدين الحق رحمة للعالمين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإن تاريخ المسلمين عرف أحداثا ووقائع سياسية كثيرة ابتداءً النصف الثاني من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبلغت هذه الأحداث ذروتها بمقتل الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما، ثم تلا ذلك نزاع أثمر في النهاية قيام الدولة الأموية التي أسَّسها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة 41هـ، لكن حصر الحكم في البيت الأموي وقلبه من شوري إلى ملكي وراثي.

وتسببت الأحداث السابقة واللاحقة في بروز تيارات وأفكار عديدة عانت منها الدولة الأموية لفترات مختلفة، حيث ظهر الخوارج والشيعة مبكراً، ثم ظهر بعدهم المرجئة والقدرية والجهمية.

وقد كانت هذه الطوائف مختلفة فيما بينها في الأفكار السياسة والعقائدية، كما حدثت بينهم وبين أئمة السلف عدة محاورات ومناظرات، فضلاً عن المواجهات العسكرية مع الدولة الأموية.

وفي خضم ذلك الصراع والخلاف الفكري برز إلى الوجود مذهب جديد أراد صاحبه أن يوجد حلاً وسطاً للخلاف السائد آنذاك، إنه مذهب المعتزلة الذي أسَّسه واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصري، لما خالفه في حكم مرتكب الكبيرة، وقال واصل: إنه في منزلة بين المنزلتين، وكان ذلك في مطلع القرن الهجري الثاني، أي في العهود المتأخرة للعصر الأموي.

ويعتبر الامام الشهرستاني في كتابه الملل والنحل أفضل من كتب عن هذه الحادثة ووثق روايتها، كما عدَّد القواعد العقدية التي وضعها واصل بن عطاء وصاحبه عمرو بن عبيد، إضافة إلى ذكره بعض الخلفاء الأمويين الذين عاصروه، وقد رأيت أن هذا الموضوع يستحق البحث والدراسة، ومن هنا اخترت هذا البحث الموسوم بـ:

"المعتزلة في العصر الأموي من خلال كتاب الملل والنحل للشهرستاني" .

وقد قسَّمت البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

فأمَّا المقدمة فقد عرَّفت فيها بالموضوع إجمالاً مع بيان أهميته، وتحديد أسباب اختياره، وطرح إشكالية البحث، وتوضيح أهدافه ومنهجه، ووضع الخطة المرسومة.

وهذا المبحث الغرض منه إعطاء صورة عامّة عن الظروف التي نشأ فيها الاعتزال، والأرضية التي مهدت لظهوره وظهور غيره من الأفكار.

وأفردت المبحث الأوّل من المبحثين الرئيسين لوضع: مفاهيم عن المعتزلة، وانتظم ثلاثة مطالب هيَ:

المطلب الأول: التعريف بالمعتزلة.

المطلب الثاني: عوامل ظهور المعتزلة.

المطلب الثالث: أسس مذهب المعتزلة.

في حين خصَّصت المبحث الثالث لصلب الموضوع، بعنوان: المعتزلة في العصر الأموي كما يصوّرهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، وأدرجت تحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالشهرستاني.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الملل والنحل للشهرستاني.

المطلب الثالث: عرض الشهرستاني لمذهب المعتزلة في العصر الأموي في كتابه الملل والنحل.

المطلب الرابع: العلاقة بين المعتزلة والأمويين.

وأنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج المتوصَّل إليها.

والحمد لله أوّلاً وآخراً.